﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾

شرح الكلمات :

السوء[1] : ما يسوء إلى من قيل فيه أو فعل به.

سميعاً عليماً : سميعاً للأقوال عليماً بالأعمال.

إن تبدوا : تظهروا ولا تخفوا.

تعفوا عن سوء : أي لا تؤاخذوا به.

معنى الآيتين :

يخبر تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء، ولازم هذا أن عباده المؤمنين يجب أن يكرهوا ما يكره ربهم ويحبوا ما يحب وهذا شرط الولاية وهي الموافقة وعدم المخالفة، ولما حرم تعالى على عباده الجهر بالسوء بأبلغ عبارة وأجمل أسلوب، استثنى المظلوم فإن له أن يجهر[2] بمظلمته لدى الحاكم ليرفع عنه الظلم فقال تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من[3] القول إلا من[4] ظلم وكان الله ـ (ومازال) ـ سميعا عليما﴾ ألا فليتق فلا يعصى بفعل السوء ولا بقوله. ثم انتدب عباده المؤمنين الى فعل الخير في السر أو العلن، وإلى العفو عن صاحب السوء فقال: ﴿إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن[5] سوء فإن الله كان عفواً قديراً﴾ فسيكسب فاعل الخير خيراً أبداه أو أخفاه وسيعفو عن صاحب العفو حينما تزل قدمه فيجني بيده أو بلسانه ما يستوجب به المؤاخذة فيشكر الله تعالى له عفوه السابق فيعفو عنه ﴿وكان الله عفواً قديراً﴾.

---

(١) كالسّبُّ، والشتم، والغيبة، والنميمة، والدعاء بالشرّ وألفاظ البذاءة وكلمات الفحش.

(٢) روى ابن جرير عن مجاهد أنّ رجلاً استضاف قوماً فلم يضيفوه ـ أي طلب منهم أن يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت هذه الآية: ﴿لا يحبّ..﴾ الخ ودلّت على أنّ إطعام الضيف وإيوائه ليلة واجب لقوله ﷺ: «ليلة الضيف واجبة» رواه أحمد.

(٣) ﴿من القول﴾: في محل نصب على الحال.

(٤) في الآية دليل على جواز الدعاء على الظالم ممن ظلمه وجواز ردّ الشتم والسبّ بمثله إلاّ أنّ ترك ذلك أفضل.

(٥) شاهده من السنة قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «ما نقص مال من صدقة ولا زاد الله عبداً بعفوٍ إلاّ عزًّا، ومن تواضع لله رفعه».

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ حرمة الجهر بالسوء والسر به كذلك فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن ينطق بما يسوء الى القلوب والنفوس إلا في حالة الشكوى وإظهار الظلم لا غير.

٢ـ استحباب فعل الخير وسره كجهره لا ينقص أجره بالجهر ولا يزيد بالسر.

٣ـ استحباب العفو عن المؤمن إذا بدا منه سوء، ومن يعف يعف الله عنه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ [1]

شـرح الكلمـات :

ورسـلـه : الرسل جمع رسول وهم جَم غفير قيل عددهم ثلثمائة وأربعة عشر رسولاً [2]

سـبيلاً : أي طريقاً بين الكفر والإيمان، وليس ثم إلا طريق واحد وهو الإيمان أو الكفر فمن آمن بكل الرسل فهو المؤمن، ومن آمن بالبعض وكفر بالبعض فهو الكافر كمن لم يؤمن بأحد منهم.

---

(١) المناسبة بين هذه الآيات، وما سبقها ينظر إليها من حيث أنّ القرآن كتاب هداية للبشرية فلذا لمّا ذكر حال المنافقين مبيّنا لهم طريق توبتهم إن أرادوا ذلك ذكر بعد بيان حكم حرمة النطق بالسوء سِراً وجهراً إلاّ مارخص فيه، ذكر حال اليهود والنصارى مبيّنا كفرهم وما أعدّ لهم من العذاب إن أصرّوا على كفرهم وضلالهم.

(٢) جاء ذكر هذا العدد في حديث أبي ذر الغفاري إذ قال فيه: «قلت يا رسول الله كم كانت الأنبياء وكم كان المرسلون؟ قال: كانت الأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي، وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر» والحديث ضعيف، ولمّا لم يوجد غيره قال به أهل العلم قديما وحديثاً.

ولم يفرقوا : كما فرق اليهود فآمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد ﷺ وكما فرق النصارى آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمد ﷺ فهم لذلك كفار.

أجـورهم : أجر إيمانهم برسل الله وعملهم الصالح وهو الجنة دار النعيم.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى مقرراً حكمه على اليهود والنصارى بالكفر الحق الذي لا مرية فيه فيقول إن الذين يكفرون بالله[1] ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك أي بين الكفر بالبعض والإيمان بالبعض سبيلاً أي طريقاً يتوصلون به الى مذهب باطل فاسد وهو التخيّر بين رسل الله فمن شاءوا الإيمان به آمنوا، ومن لم يشاءوا الإيمان به كفروا به ولم يؤمنوا وبهذا كفروا كفراً لا ريب فيه، ولهم بذلك العذاب المهين الذي يهانون به ويذلون جزاء كبريائهم وسوء فعالهم قال تعالى ﴿أولئك هم الكـافـرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾[2] فسجل عليهم الكفر ثلاث مرات فالمرة الأولى بقوله ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله﴾ والثانية بقوله ﴿أولئك هم الكافرون حقاً﴾ والثالثة بقوله ﴿واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ حيث لم يقل واعتدنا لهم فاظهر في موضع الإضمار لتسجيل الكفر عليهم وللإشارة الى علة الحكم وهي الكفر.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥١) أما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿والذين آمنوا[3] بالله ورسله﴾ فإنها مقابلة في ألفاظها ومدلولها للآية قبلها فالأولى تضمنت الحكم بالكفر على اليهود والنصارى، وبالعذاب المهين لهم والثانية تضمنت الحكم بإيمان المسلمين وبالنعيم المقيم لهم وهـو ماوعدهم به ربهم بقوله ﴿أولئك سوف نؤتيهم أجورهم، وكان الله غفوراً رحيماً﴾. فغفر لهم ذنوبهم ورحمهم بأن أدخلهم دار كرامته في جملة أوليائه.

---

(١) نسبهم تعالى إلى الكفر به لأنّ إيمانهم بالله تعالى باطل وذلك أنّ اليهود يصفون الله تعالى بصفات المحدثين ونسبوا إليه الولد وكثير من صفات تنزه الله عنها، وأنّ النصارى يكفيهم كفراً قولهم إنّ الله ثالث ثلاثة وهو الكفر بعينه، وحسبهم بعد ذلك كفرهم بمحمد ﷺ وبما جاء به.

(٢) تُوعدوا بالعذاب المهين مقابل ما كانوا يرتكبونه من إهانة المؤمنين وإذلالهم، والجزاء من جنس العمل و﴿حقاً﴾ في الآية منصوب على المصدرية، أي حقه لهم أيها السامع حقاً.

(٣) هذا أسلوب القرآن الكريم فإنّه بعد أن ذكر الكافرين حقاً وبيّن جزاءهم، ذكر المؤمنين حقاً وبيّن جزاءهم، وهذا اسلوب الترغيب والترهيب الذي عليه مدار الهداية والإصلاح بإذن الله تعالى.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ تقرير كفر اليهود والنصارى لفساد عقائدهم وبطلان أعمالهم .

٢ـ كفر من كذب بالله ورسوله ولو فى شيء واحد مما وجب الإيمان به .

٣ـ بطلان إيمان من يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض .

٤ـ صحة الدين الإسلامي وبطلان اليهودية[1] والنصرانية حيث اوعد تعالى اليهود والنصارى بالعذاب المهين ، ووعد المؤمنين بتوفية أجورهم والمغفرة والرحمة لهم .

يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

شرح الكلمات :

جهرة : عيانا نشاهده ونراه بأبصارنا .

الصاعقة : صوت حاد ورجفة عنيفة صعقوا بها .

بظلمهم : بسبب ظلمهم بطلبهم ما لا ينبغي .

اتخذوا العجل : أي الهاً فعبدوه .

فعفونا عن ذلك : أي لم يؤاخذهم به .

سلطاناً مبيناً : حجة واضحة وقدرة كاملة قهر بها أعداءه .

---

(١) وسائر الأديان كالمجوسية والصابئة ، وغيرهما من سائر الملل والنحل إذ لا دين حق إلاّ الإسلام قال تعالى : ﴿إنّ الدين عند الله الإسلام﴾ .

ورفعنا فوقهم الطور : أي جبل الطور بسيناء.

ادخلوا الباب سجداً : أي راكعين متواضعين خاشعين لله شكراً لنعمه عليهم.

لا تعدوا[1] : لا تعتدوا أي لا تتجاوزوا ما حد لكم فيه من ترك العمل الى العمل فيه.

ميثاقا غليظا : عهداً مؤكداً بالأيمان.

معنى الآيتين:

لما نعى الربّ تعالى على أهل الكتاب قولهم نؤمن ببعض الرسل ونكفر ببعض حيث آمن اليهود بموسى وكفروا بعيسى وآمن النصارى بعيسى وكفروا بمحمد ﷺ كما كفر به اليهود أيضاً ذكر تعالى لرسوله أن اليهود إذا سألوك أن تنزل عليهم[2] كتاباً من السماء فلا تعجب من قولهم ولا تحفل به إذ هذه سنتهم وهذا دأبهم، فإنهم قد سألوا موسى قبلك أعظم من هذا فقالوا له أرنا الله جهرة فأغضبوا الله تعالى فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون واتخذوا العجل إلهاً يعبدونه في غياب موسى عليهم، وكان ذلك منهم بعد مشاهداتهم البيّنات حيث فلق الله لهم البحر وأنجاهم وأغرق عدوهم ومع هذا فقد عفا الله عنهم، وآتى نبيهم سلطانا مبيناً، ولم يؤثر ذلك في طباعهم هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٣) وهي قوله تعالى ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة[3] فأخذتهم الصاعقة بظلمهم[4] ثم اتخذوا[5] العجل من بعد ما جاءتهم البيّنات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾. أما الآية الثانية (١٥٤) فقد أخبر تعالى أنه رفع فوقهم الطور تهديداً لهم ووعيداً وذلك لما امتنعوا ان يتعهدوا بالعمل بما في التوراة، فلما رفع الجبل فوقهم خافوا فتعهدوا معطين بذلك ميثاقاً غير أنهم نقضوه كما سيأتي الإخبار بذلك. هذا

---

(١) قرأ ورش ﴿لا تعدّوا﴾ بتشديد الدّال وهو من إدغام التاء في الدّال لتقاربهما في المخرج والأصل لا تعتدوا من الاعتداء الذي هو العدوان.

(٢) ذكر القرطبي بغير إسناد أن اليهود سألت النبي ﷺ أن يصعد إلى السماء وهم يرونه فينزل عليهم كتاباً مكتوباً فيما يدّعيه على صدقه دفعة واحدة، كما أتى موسى بالألواح تعّنتاً منهم فأنزل الله تعالى الآية.

(٣) ﴿جهرة﴾ نعت لمصدر محذوف تقديره: رؤية جهرة، ويصح أن يكون حالاً أي مجاهرة بلاحجاب ساتر.

(٤) ﴿بظلمهم﴾ الباء سببية أي: سبب ظلمهم، وليس المراد من ظلمهم طلب رؤية الله تعالى إذ هذا طلبه موسى أيضاً، ولكن ظلمهم: كونهم اشترطوا لإيمانهم بموسى حتى يريهم الله جهرة.

(٥) العطف بثم هنا هو للتراخي الرتبي لا لإفادة الترتيب الزمني، إذ اتخاذهم العجل كان قبل طلبهم رؤية الله جهرة، إذ المراد من البينات التي جاءتهم: انفلاق البحر، وقبله آية العصا وغيرها من التسع آيات التي آتى الله موسى عليه السلام.

معنى قوله تعالى ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾، وقوله تعالى ﴿وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً . .﴾ كان هذا عندما دخل يوشع بن نون فتى موسى مدينة القدس فاتحاً اوحى الله تعالى إليه أن يأمر بني إسرائيل ان يدخلوا باب المدينة خاضعين متطامنين شكراً لله تعالى على نعمة الفتح فبدل أن يطيعوا ويدخلوا الباب راكعين متطامنين دخلوه زحفاً على استاههم مكراً وعناداً والعياذ بالله. وقوله: ﴿. . وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت﴾ أي ونهيناهم عن الصيد فى السبت فتعدوا نهينا وصادوا عصيانا وتمرداً، وقوله تعالى ﴿. . وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ أي على أن يعملوا بما شرعنا لهم تحليلا وتحريما في التوراة، ومع هذا فقد عصوا وتمردوا وفسقوا، إذاً فلا غرابة في سؤالهم إياك على رسالتك وليؤمنوا بك أن تنزل عليهم كتاباً من السماء. هذا معنى قوله تعالى في الآية (١٥٤) ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً، وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت. .﴾ أي لاتتجاوزوا ما أحللنا لكم إلى ما حرمنا عليكم ﴿. . . وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً. .﴾[1]

هداية الآيتيـن

من هداية الآيتين :

١ـ تعنت أهل الكتاب ازاء الدعوة الإسلامية وكفرهم بها على علم انها دعوة حق.

٢ـ بيان قبائح اليهود وخبثهم الملازم لهم طوال حياتهم.

٣ـ نقض اليهود للعهود والمواثيق اصبح طبعا لهم لا يفارقهم أبداً ولذا وجب عدم الثقة في عهودهم ومواثيقهم.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) كل ما ذكر في هذه الآيات هو تسلية للنبي ﷺ وتخفيفاً على نفسه مما يلاقي من تعنت اليهود، وصلفهم، وقساوة قلوبهم ومعاملتهم.

ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

شرح الكلمات :

فبما نقضهم : الباء سببية أي فبسبب نقضهم ميثاقهم، والنقض: الحل بعد الإبرام.

بغير حق : أي بدون موجب لقتلهم، ولا موجب لقتل الأنبياء قط.

غلف[1] : جمع اغلف وهو ما عليه غلاف يمنعه من وصول المعرفة والعلم إليه.

بهتاناً عظيما : البهتان الكذب الذي يحير من قيل فيه والمراد هنا رميهم لها بالزنى.

وما صلبوه : أي لم يصلبوه، والصلب شده على خشبة وقتله عليها.

وان من أهل الكتاب : أي وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن عند حضور الموت أن عيسى عبد الله ورسوله فما هو ابن زنى ولا ساحر كما يقول اليهود، ولا هو الله ولا ابن الله كما يقول النصارى.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن اليهود وبيان الجرائم التي كانت سبباً في لعنهم وذلهم، وغضب الله تعالى عليهم، وهذا تعداد تلك الجرائم الواردة في الآيات الثلاث الأولى في هذا السياق وهي (١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧).

---

(١) ﴿غُلف﴾ قد يكون جمع غلاف ومعناه حينئذ أن قلوبهم أوعية للعلم فلا حاجة بهم إلى علم سوى ما عندهم، ولا منافاة بين المعنيين في النهر، وأيسر التفاسير.

١ـ نقضهم العهود والمواثيق وخاصة عهدهم بالعمل بما في التوراة.
٢ـ كفرهم بآيات اللهوالمنزلة على عبدالله عيسى ورسوله والمنزلة على محمد ﷺ.
٣ـ قتلهم الأنبياء كزكريا ويحيى وغيرهم وهو كثير في عهود متباينة.
٤ـ قولهم قلوبنا غلف حتى لا يقبلوا دعوة الإسلام، وما أراد الرسول إعلامهم به وكذبهم الله تعالى في هذه الدعوى، وأخبر أن لا أغطية على قلوبهم، ولكن طبع الله تعالى عليها بسبب ذنوبهم فران عليها الران فمنعها من قبول الحق اعتقاداً وقولا وعملا هذا ما تضمنته الآية الأولى وهى قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم..﴾ (والباء سببية والميم صلة والأصل فبنقضهم أي بسبب نقضهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم، ﴿فلا يؤمنون الا قليلا﴾ أي إيماناً قليلا كإيمانهم بموسى وهرون والتوراة والزبور مثلا.
٥ـ كفرهم أي بعيسى ومحمد ﷺ أيضـا.
٦ـ قولهم على مريم بهتاناً عظيمًا[1] حيث رموها بالفاحشة وقالوا عيسى ابن زنى لعنهم الله.
٧ـ قولهم متبجحين متفاخرين أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وهو رسول الله، وأكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله ﴿..وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم..﴾ أى برجل آخر ظنوه انه هو فصلبوه وقتلوه، وأما المسيح فقد رفعه الله تعالى إليه وهو عنده في السماء كما قال تعالى في الآية (١٥٨) ﴿بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيمًا﴾ أي غالباً على أمره حكيما في فعله وتدبيره.

وأما قوله تعالى: ﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً﴾، هذا إخبار من الله تعالى بحقيقة أخرى وهى أن الذين طوقوا منزل المسيح وهجموا عليه ليلقوا عليه القبض من أجل أن يقتلوه هؤلاء اختلفوا[2] فى هل الرجل الذي ألقي عليه شبه عيسى هو عيسى أو غيره إنهم لم يجزموا أبداً بأن من ألقوا عليه القبض وأخرجوه فصلبوه وقتلوه هو المسيح عليه السلام، ولذا قال تعالى ﴿.. وما قتلوه يقيناً[3] بل رفعه الله

(١) البهتان العظيم الذي قالوه على مريم هو رميهم لها بالزنى مع يوسف بن النجار وهو عبد صالح.
(٢) ذكر القرطبي للاختلاف عدّة وجوه كلها سائغة وما ذكرناه في التفسير أولى. ومن بين الوجوه قولهم: إن كان هذا صاحبنا فأين عيسى، وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟
(٣) ما زال الخلاف قائما إلى اليوم، فالجمهور منهم يقولون: صُلب عيسى وقُتل وبعد ثلاثة أيام رفع، وخلاف الجمهور يقولون: لم يصلب عيسى ولم يقتل.

اليه وكان الله عزيزا حكيما﴾[1].

أما الآية الأخيرة في هذا السياق (١٥٩) فإن الله تعالى أخبر أنه مامن يهودي ولا نصراني يحضره الموت ويكون فى انقطاع عن الدنيا إلا آمن بأن عيسى عبد الله ورسوله، وليس هو ابن زنى ولا ساحر كما يعتقد اليهود، ولا هو الله ولا ابن الله كما يعتقد النصارى، ولكن هذا الإيمان لا ينفع صاحبه لأنه حصل عند معاينة الموت قال تعالى ﴿. . وليست التوبة للذين يعملون السيئآت حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن. .﴾. هذا ما دلت عليه الآية الكريمة: ﴿وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ أي يشهد على كفرهم به وبما جاءهم به، ووصاهم عليه من الإيمان بمحمد ﷺ ودين الحق الذي جاء به.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان جرائـم اليهود.

٢ـ بطلان اعتقاد النصارى في أن عيسى صلب وقتل، أما اليهود فإنهم وان لم يقتلوا عيسى فهم مؤاخذون على قصدهم حيث صلبوا وقتلوا من ظنوه أنه عيسى عليه السلام.

٣ـ تقرير رفع عيسى عليه السلام الى السماء ونزوله فى آخر أيام الدنيا.

٤ـ الإيمان كالتوبة عند معاينة ملك الموت لا تنفع ولا تقبل وجودها كعدمها.

فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ

---

(١) عزّة الله يتنافى معها تسلط اليهود على عبده ورسوله عيسى وقتلهم له، وحكمته تتجلّى في رفعه إليه وإنزاله آخر أيام الدنيا.

أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

شـرح الكلـمات :

فبظـلم : الباء سببية أي فبسبب ظلمهم.

هـادوا : اليهود إذ قالوا: انا هدنا إليك.

طيبات أحلت لهم : هي كل ذى ظفر وشحوم البقر والغنم.

اخذهم الربا : قبوله والتعامل به وأكله.

الراسخون في العلم : أصحاب القدم الثابتة في معرفة الله وشرائعه ممن علومهم راسخة في نفوسهم ليست ظنيات بل هي يقينيات.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في اليهود من أهل الكتاب يبين جرائمهم ويكشف الستار عن عظائم ذنوبهم ففي الآية الأولى (١٦٠) سجل عليهم الظلم العظيم والذي به استوجبوا عقاب الله تعالى حيث حرم عليهم طيبات كثيرة كانت حلالا لهم، كما سجل عليهم أقبح الجرائم وهى صدهم أنفسهم وصد غيرهم عن سبيل الله تعالى، وذلك بجحودهم الحق وتحريفهم كلام الله، وقبولهم الرشوة في إبطال الأحكام الشرعية. هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الثانية (١٦١) فقد تضمنت تسجيل جرائم أخرى على اليهود وهى أولا استباحتهم للربا[1] وهو حرام وقد نهوا عنه وثانيا أكلهم أموال الناس بالباطل كالرشوة والفتاوى الباطلة التي كانوا يأكلون بها. وأما قوله تعالى في ختام الآية: ﴿... واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾ فهو زيادة على ما عاقبهم به في الدنيا أعد لمن كفر منهم ومات على كفره عذاباً أليمًا موجعا يعذبون به يوم القيامة. وأما الآية الثالثة (١٦٢) فقد نزلت في عبدالله بن سلام وبعض العلماء من يهود المـدينة فذكر تعالى كالاستثناء من أولئك الموصوفين بأقبح الصفات وهى صفات جرائم

---

(١) أورد القرطبي هنا سؤالاً وهو مع علمنا أن اليهود يأكلون الربا والسحت وجميع ما حرّم الله تعالى فهل يجوز لنا التعامل معهم؟ وأجاب بالجواز استدلالا بقول الله تعالى: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ وبتعامل الرسول ﷺ معهم فقد رهن درعه عند يهودي.

اكتسبوها، وعظائم من الذنوب اقترفوها لجهلهم وعمى بصائرهم. ان الراسخين[1] في العلم الثابتين فيه الذين علومهم الشرعية يقينية لا ظنية هؤلاء شأنهم فى النجاة من العذاب والفوز بالنعيم فى دار السلام شأن المؤمنين من هذه الأمة يؤمنون بما أنزل إليك أيها الرسول وما أنزل من قبلك وخـاصـة المقمـين[2] الصلاة وكذا المؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر هؤلاء جميعا وعدهم الله تعالى بالأجر العظيم الذى لا يقادر قدره ولا يعرف كنهه فقال تعالى: ﴿أولئك سنؤتيهم أجراً عظيمًا﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ المعاصى تورث الحرمان من خير الدنيا والآخرة.

٢ـ حرمة الصد عن الإسلام ولو بالسلوك الشائن والمعاملة الباطلة.

٣ـ حرمة الربا وانه موجب للعقوبة في الدنيا والآخرة.

٤ـ حرمة أكل أموال الناس بالباطل كالسرقة والغش والرشوة.

٥ـ من أهل الكتاب صلحاء ربانيون وذلك كعبدالله بن سلام وآخرين.

٦ـ الرسوخ في العلم يأمن صاحبه الزلات والوقوع في المهلكات.

٧ـ فضل إقام الصلاة لِنَصْبِ والمقيمى الصلاة في الآية على المدح والتخصيص.

۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ

(١) روي أنه لما نزلت آية: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرّمنا..﴾ الآية قالت يهود منكرة ما أخبر به تعالى عنهم: إن هذه الأشياء كانت حراماً في الأصل وأنت تحلها ولم تكن حرمت بظلمنا، فنزل: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك﴾ وهم عبدالله بن سلام وأحبار اليهود المسلمون.

(٢) قرأه الجمهور بنصب المقيمين على المدح أي: وأمدح المقيمين أو أعني المقيمين، والنصب على المدح جائز في كلام فصحاء العرب، وبُلغائهم ومن ذلك قول شاعرهم:

وكل قوم أطاعوا أمر سيّدهم   إلاّ نُميراً أطاعت أمر غاويها

مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾

شرح الكلمات :

إنا اوحينا اليك[1] : الوحي[2] : الإعلام السريع الخفى ، ووحي الله تعالى الى أنبيائه إعلامهم بما يريد أن يعلمهم به من أمور الدين وغيره .

الأسباط : أولاد يعقوب عليهم السلام .

زبوراً[3] : الزبور أحد الكتب الإلهية أنزله على نبيه دواد عليه السلام .

قد قصصناهم عليك : ورد منهم في سورة الأنعام ثمانية عشر رسولا وسبعة ذكروا في سور أخرى وهم محمد ﷺ وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وإدريس وآدم

حجة : عذر يعتذرون به الى ربهم عز وجل .

معنى الآيات :

روى أن اليهود لما سمعوا ما أنزل الله تعالى فيهم فى الآية السابقة أنكروا أن يكون هذا وحيا وقالوا لم يوح الله تعالى الى غير موسى فرد الله تعالى قولهم بقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح[4] والنبيين من بعده . .﴾ فذكر عدداً من الأنبياء ، ثم قال ورسلا : أي وأرسلنا رسلاً قدقصصناهم عليك من قبل أي قص عليه اسماءهم وبعض[5] ما جرى لهم مع أممهم وهم

(١) هذه التوكيد بأنّ تطلبه إنكار اليهود الوحي الى نبينا ﷺ كما تطلبه الاهتمام بهذا الخبر العظيم .

(٢) الوحي : مصدر وحى يحي وحياً ، كرمى يرمي رمياً ، إليه بكذا أعلمه . وأوحى يوحي إيحاءً إليه بكذا أعلمه به بطريق خفي .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وآتينا داود زبورا﴾ وهي جملة معطوفة على جملة ﴿إنا أوحينا إليك﴾ إشارة إلى أنّ الزّبور كتاب ، وهو كذلك ، إذ هو أحد الكتب الأربعة ، ولو لم يرد ذلك ، لعطف اسمه على مَنْ سبقه فقط كأن يقول وهارون وسليمان وداود .

(٤) قدم نوح في الذكر باعتباره أوّل رسول حارب الشرك ، إذ لم يظهر الشرك على عهد من سبقه كإدريس وشيت من قبله ، فلما ظهر الشرك أرسل الله تعالى نوحاً عليه السلام ، وهو نوح بن لمك ابن متوشلخ بن أخنوخ .

(٥) قوله : ﴿قصصناهم عليك من قبل﴾ يعني في القرآن الكريم وهم هود وصالح ، وشعيب ويحيى وإلياس ، واليسع ولوط .

يبلغـون دعوة ربهم، وأرسل رسلا لم يقصصهم عليه، وفوق ذلك أنه كلم موسى تكليما فأسمعه كلاماً بلا واسطة، فكيف ينكر اليهود ذلك ويزعمون أنه ما أنزل الله على بشر من شيء وقد ارسلهم تعالى رسلا مبشرين من آمن وعمل صالحا بالجنة، ومنذرين من كفر واشرك وعمل سوءً بالنار وما فعل ذلك الا لقطع حجة الناس يوم القيامة حتى لا يقولوا ربنا ما ارسلت الينا رسولاً هذا معنى قوله تعالى ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. .﴾ أي بعد ارسالهم، ﴿وكان الله عزيزا﴾ غالبا لا يمانع في شيء اراده ﴿حكيما﴾ في أفعاله وتدبيره، هذا بعض ما تضمنته الآيات الثلاث (١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥) أمـا الآية الـرابعة (١٦٦) وهي قوله تعالى: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾.

فقد روي أن يهوداً جمعهم النبي ﷺ وابلغهم أنه رسول الله صدقا وحقا ودعاهم إلى الإيمان به وبما جاء به من الدين الحق فقالوا: من يشهد لك بالرسالة إذ كانت الأنبياء توجد في وقت واحد فيشهد بعضهم لبعض، وأنت من يشهد لك فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لكن[1] الله يشهد بما أنزل اليك. . .﴾ يريد إنزال الكتاب إليك شهادة منه لك بالنبوة والرسالة، أنزله بعلمه بأنك أهل للاصطفاء والإرسال، وبكل ما تحتاج إليه البشرية في اكمالها واسعادها إذ حوى أعظم تشريع تعجز البشرية لو اجتمعت ان تأتى بمثله، أليس هذا كافيا في الشهادة لك بالنبوة والرسالة، بلى، والملائكة أيضاً يشهدون ﴿. . وكفى بالله شهيداً﴾ فلا تطلب شهادة بعد شهادته تعالى لو كانوا يعقلون.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير مبدأ الوحى الإلهي.

٢ـ أول الرسل نوح[2] عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ.

---

(١) توضيح هذا الاستدراك الذي هو رفع ما يتوهّم ثبوته او نفيه هو إذا رفض اليهود الشهادة لك بالرسالة وطالبوا بمن يشهد لك فالله يشهد لك بما أنزله إليك والملائكة يشهدون كذلك.

(٢) ذكـر صاحب تفسير التحرير والتنـوير الإمـام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية تاريخ المذكورين من الرسل نقلا عن أهل الكتاب قطعاً فللاطلاع لاغير نذكر ذلك كما ذكره وأمّا علم صحته فهو إلى الله تعالى لا غير: نوح عليه السلام ولد سنة ٣٩٧٤ قبل الهجرة النبوية، وابراهيم توفي ببلدة الخليل سنة ٢٧١٩ قبل الهجرة، وإسماعيل توفي بمكة سنة ٢٦٨٦ قبل الهجرة تقريبا، واسحاق بن ابراهيم توفي سنة ٢٦١٣ قبل الهجرة، ويعقوب اسرائيل توفي سنة ٢٥٨٦ قبل الهجرة، وعيسى بن مريم ولد سنة ٦٢٢ قبل الهجرة ورفع إلى السماء قبلها سنة ٥٨٩، وأيوب كان بعد إبراهيم وقبل موسى، في القرن الخامس عشر قبل المسيح، وهارون توفي سنة ١٩٧٢ قبل الهجرة وداود توفي سنة ١٦٢٦ قبل الهجرة وسليمان توفي سنة ١٥٩٧ قبل الهجرة.

٣- إثبات صفة الكلام لله تعالى.

٤- بيان الحكمة في ارسال الرسل وهي قطع الحجة على الناس يوم القيامة.

٥- شهادة الرب تبارك وتعالى والملائكة بنبوة خاتم الأنبياء ورسالته ﷺ.

٦- ما حواه القرآن من تشريع وما ضمه بين دفتيه من معارف وعلوم أكبر شهادة للنبي محمد ﷺ بالنبوة والرسالة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

شــرح الكلمـات :

كفروا وصـدوا : كفروا: جحدوا بنبوة محمد ﷺ وصدوا: صرفوا الناس عن الإيمان به ﷺ بما يبذرون من بذور الشك.

كفروا وظلموا : جحدوا نبوة محمد ﷺ وظلموا ببقائهم على جحودهم بغياً منهم وحسداً للعرب أن يكون فيهم رسول يخرجهم من الظلمات الى النور.

الرســـول : هو محمد ﷺ الكامل في رسالته الصادق في دعوته.

فآمنوا خيرا لكم : أي يكون إيمانكم خيراً لكم.

معنـى الآيات :

بعـد أن أقـام الله تعالى الحجة على رسالة نبيه محمد ﷺ بشهادته له بالرسالة وشهادة ملائكته، وشهادة القرآن لما فيه من العلوم والمعارف الإلهية بعد هذا أخبر تعالى أن الذين

كفروا وصدوا عن سبيل الله[1] وهم اليهود[2] قد ضلوا ضلالاً بعيداً قد يتعذر معه الرجوع إلى الحق، وهذا ما تضمنته الآية الأولى (١٦٧) كما أخبر في الآية الثانية (١٦٨) أن الذين كفروا وظلموا وهم أيضاً اليهود لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً اللهم إلا طريق جهنم وهذا قائم على سنته في خلقه وهي أن المرء إذا كفر كفر عناد وجحود وأضاف إلى الكفر الظلم لم يبق له أي استعداد لقبول الهداية الإلهية، لم يبق له من طريق يرجى له سلوكه إلا طريق جهنم يخلد فيها خلوداً أبديّاً، وقوله تعالى: ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ في ختام الآية يقرر فيه أن دخول أصحاب هذه الصفات من اليهود جهنم وخلودهم فيها ليس بالأمر الصعب على الله المتعذر عليه فعله بل هو من السهل اليسير أما الآية الأخيرة (١٧٠) فهي تتضمن إعلاناً إلهياً موجهاً إلى الناس كافة مشركين وأهل كتاب ﴿. . . يا أيها الناس قد جاءكم الرسول[3] . . .﴾ الكامل الخاتم جاءكم بالدين الحق من ربكم فآمنوا به خيراً لكم، وإن أبيتم وأعرضتم ايثاراً للشر على الخير والضلال على الهدى فاعلموا أن لله ما في السموات[4] والأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً وسيجزيكم بما اخترتم من الكفر والضلال جهنم وساءت مصيراً فإنه عليم بمن استجاب لندائه فآمن وأطاع، وبمن أعرض فكفر وعصى حكيم في وضع الجزاء في موضعه اللائق به. فلا يجزي المحسن بالسوء، ولا المسيء بالإحسان.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ شر الكفر ما كان مع الصد عن سبيل الله والظلم وهذا كفر اليهود والعياذ بالله تعالى.

٢ـ سنة الله تعالى في أن العبد إذا أبعد في الضلال، وتوغل في الشر والفساد يتعذر عليه التوبة فيموت على ذلك فيهلك.

---

(١) صدّوا عن سبيل الله بقولهم إنّا لا نجد صفة محمد في كتابنا وإنما النبوة في ولد هارون، وداود، وأنّ في التوراة أن شرع موسى لا ينسخ.

(٢) اللفظ يتناول اليهود أولا، ويعم كل من كفر بالله ورسوله وصد عن سبيله الذي هو الإسلام.

(٣) التعريف في الرسول للعهد إذ هو معهود بين المخاطبين معروف لهم وكونه للعهد لا ينافي ما ذكر في التفسير من أنّه الكامل في رسالته كأنه فرد فيها لا نظير له.

(٤) إنه لم يدعكم إلى الايمان لحاجة به، إنّه عزيز إنّه سبحانه وتعالى يملك الكائنات كلها حيها وميتها ظاهرها وباطنها ويتصرّف فيها كما يشاء وهو الغني الحميد.

٣- الرسالة المحمدية عامة لسائر الناس أبيضهم وأصفرهم.

٤- إثبات صفتي العلم والحكمة لله تعالى. وبموجبهما يتم الجزاء العادل الرحيم.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾

شرح الكلمات :

يا أهل الكتاب : المراد بهم[١] هنا النصارى.

لا تغلوا في[٢] دينكم : الغلو: تجاوز الحد للشيء فعيسى عليه السلام عبدالله ورسوله فغلوا فيه فقالوا هو الله.

---

(١) النصارى غلوا في عيسى فتجاوزوا حد الإفراط حيث ألهوه أي جعلوه إلها وعبدوه واليهود غلوا في التفريط في عيسى إذ قالوا: ساحر، وابن زنى والعياذ بالله.

(٢) الغلو: مشتق من غلوة السهم وهي منتهى اندفاعه، ويطلق الغلو في الشرع على الزيادة على المطلوب في الاعتقاد والقول والعمل.

المسيح : هو عيسى عليه السلام ولقب بالمسيح لأنه ممسوح من الذنوب أي لا ذنب له قط.

كلمته ألقاها : أي قول الله تعالى له ﴿كن﴾ فكان - ألقاها إلى مريم: أوصلها لها وأبلغها إياها وهي قول الملائكة لها إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم.

وروح منه : أي عيسى كان بنفخة جبريل روح الله في كم درعها.

وكيلاً : حفيظاً وشاهداً عليّاً.

لن يستنكف : لا يرفض عبوديته لله تعالى أنفة وكبراً.

ويستكبر : يرى نفسه كبيرة فوق ما طلب منه أن يقوله أو يفعله إعجاباً وغروراً.

ولياً ولا نصيراً : أي لا يجدون يوم القيامة ولياً يتولى الدفاع عنهم ولا نصيراً ينصرهم حتى لايدخلوا النار ويعذبوا فيها.

معنى الآيات :

ما زال السياق مع أهل الكتاب ففي الآية الأولى (١٧١) نادى الرب تبارك وتعالى النصارى بلقب الكتاب الذي هو الإنجيل ونهاهم عن الغلوّ في دينهم من التنطع والتكلف كالترهب واعتزال النساء وما إلى ذلك من البدع التي حمل عليها الغلوّ، كما نهاهم عن قولهم على الله تبارك وتعالى غير الحق، وذلك بنسبة الولد إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وأخبرهم بأن عيسى لم يكن[١] أبداً غير رسول الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم[٢] حيث بعث إليها جبريل فبشرها بأن الله تعالى قد يهبها غلاماً زكياً، ونفخ وهو روح الله في كم درعها فكان عيسى بكلمة التكوين وهي ﴿كن﴾ وبسبب تلك النفخة من روح الله جبريل عليه السلام فلم يكن عيسى الله ولا ابن الله فارجعوا الى الحق وآمنوا بالله ورسله جبريل وعيسى ومحمد ﷺ، ولا تقولوا زوراً وباطلا: الله ثالث ثلاثة آلهة.[٣] انتهوا عن هذا القول الكذب يكن

---

(١) لأنّ إنّما أداة قصر، فمن هنا قصر عيسى عليه السلام على ثلاث صفات، وهي الرسالة، والكلمة، والروح، أي هو لم يكن غير رسول الله، وكلمته وروح منه، والقصر إضافي كما هو ظاهر.

(٢) لم يذكر الله تعالى امرأة في القرآن باسمها العَلَم سوى مريم إذ ذكرها في القرآن في نحو من ثلاثين موضعاً، وسر هذا أنّ العرب يتحاشون أن يذكروا أسماء نسائهم، إنّما يكنون عنهن بالعرس والأهل والعائلة وأمّا الإماء فيذكرونهن بأسمائهن لذا ذكر تعالى مريم وهي أمته باسمها العلم ثلاثين مرّة.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد من التثليث: الله تعالى وصاحبته وابنه، والأقانيم عند بعضهم هي الأب، والابن، وروح القدس، وعند بعضهم هو الوجود، والحياة، والعلم.

انتهاؤكم خيراً لكم حالاً ومآلاً ، إنما الله سبحانه وتعالى إله واحد لا شريك له ولا ند ولا ولد . سبحانه تنزه وعلا وجل وعظم أن يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ، ولم يكن ذا حاجة وله ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً وحكماً وتدبيراً ، وكفى به سبحانه وتعالى وكيلاً شاهداً عليماً فحسبكم الله تعالى ربّاً وإلهاً فإنه يكفيكم كل ما يهمكم فلا تلتفتون إلى غيره ولا تطلبون سواه .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٧١) وأما الآيتان الثانية (١٧٢) والثالثة (١٧٣) فقد أخبر تعالى أن عبده ورسوله المسيح عليه السلام لن يستنكف أبداً أن يعبد الله وينسب إليه بعنوان العبودية فيقال عبدالله ورسوله ، حتى الملائكة المقربون منهم فضلاً عن غيرهم لا يستنكفون عن عبادة الله تعالى وعن لقب العبودية فهم عباد الله وملائكته ، ثم توعد تعالى كل من يستنكف عن عبادته ويستكبر عنها من سائر الناس بأنه سيحشرهم جميعاً ويحاسبهم على أعمالهم فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات آمنوا بألوهيّته تعالى وحده وعبدوه وحده بما شرع لهم من أنواع العبادات وهى الأعمال الصالحة فهؤلاء يوفيهم أجورهم كاملة ويزيدهم من فضله الحسنة بعشر أمثالها وقد يضاعف الى سبعمائة ضعف . وأما الذين استنكفوا واستكبروا أي حملتهم الأنفة والكبر على عدم قبول الحق والرجوع اليه فأصروا على الاعتقاد الباطل والعمل الفاسد فيعذبهم تعالى عذاباً أليماً أي موجعاً ولا يجدون لهم من دونه ولياً ولا ناصراً فينتهي أمرهم إلى عذاب الخلد جزاء بما كانوا يعملون .

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ حرمة الغلو في الدين إذ هي من الأسباب الموجبة للابتداع[١] والضلال .

٢ـ حرمة القول على الله تعالى بدون علم مطلقاً والقول عليه بغير الحق بصورة خاصة .

٣ـ بيان المعتقد الحق في عيسى[٢] عليه السلام ، وأنه عبد الله ورسوله كان بكلمة الله ونفخة

---

(١) قال مطرف بن عبيد الله : والعدل حسنة بين سيئتين ، الأولى الإفراط ، والثانية التفريط ، فالغلو إفراط ، والتقصير تفريط ، وكلاهما مذموم قال الشاعر:

وأوفِ ولا تستوف حقك كله ... وسامح فلم يستوف قط كريم

ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

(٢) ذكر القرطبي عند تفسير هذه الآية قصة طويلة في سبب فساد دين المسيح عليه السلام، وأنّ الذي أفسده هو بولس اليهودي ولعلنا نذكرها في تفسير آية المائدة: ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ إن شاء الله تعالى .

جبريل[1] عليه السلام.

٤ـ حرمة الاستنكاف عن الحق والاستكبار عن قبوله.

٥ـ بيان الجزاء الأخروي وهو إما نعيم وإما جحيم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾

شـرح الكلمـات:

برهــان : البرهان: الحجة والمراد به هنا محمد[2] ﷺ.

نوراً مبيناً : هو القرآن الكريم.

واعتصموا : أي تمسكوا بالقرآن وبما يحمله من الشرائع.

فى رحمة منه : الجنـــة

صراطــاً : طريقاً يفضى بهم الى جوار ربهم في دار الكرامة.

معنى الآيـتين:

[3]ينادى الرب تبارك وتعالى سائر الناس مشركين ويهود ونصارى مخبراً إياهم قاطعاً للحجة عليهم بأنه أرسل إليهم رسوله محمد ﷺ وهو البرهان الساطع والدليل القاطع على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته ووجوب الإيمان به وبرسله ولزوم عبادته بطاعته وطاعة رسوله وأنه أنزل عليه كتابه شافياً كافياً هادياً نوراً مبيّناً يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجه من الظلمات إلى النور. بهذا قد أعذر الله تعالى إلى الناس كافة وقطع عليهم كل معذرة

---

(١) قال أُبي بن كعب رضي الله عنه: خلق الله أرواح بني آدم لمّا أخذ عليهم الميثاق ثمّ ردها إلى صلب آدم، وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام، فلما أراد خلقه أرسل ملك الروح إلى مريم فكان منه عيسى فلذا قال: ﴿وروح منه﴾ هذا الأثر أحسن ما يقال في قوله تعالى ﴿وروح منه﴾.

(٢) هذا الذي قرّره ابن جرير، وأنّ البرهان في هذه الآية هو النبي محمد ﷺ.

(٣) هذا النداء وما بعده كالفذلكة لما تقدم من دعوة أهل الكتابين إلى الدخول في الإسلام لإقامة الحجة على الجميع إذ وجه تعالى نداءه العام لكل البشر وهو يتناول أهل الكتابين والمشركين وغيرهم لإقامة الحجة على الجميع.

وحجة ثم هم صنفان مؤمن وكافر فالذين آمنوا بالله رباً وإلها وبرسوله نبياً ورسولاً واعتصموا بالقرآن فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وصدقوا أنباءه والتزموا آدابه فهؤلاء سيدخلهم في رحمة[1] منه وفضل وذلك بأن ينجيهم من النار ويدخلهم الجنان وذلك هو الفوز العظيم كما قال تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز. وأما الذين كفروا به وبرسوله وكتابه فمصيرهم معروف وجزاءهم معلوم فلا حاجة الى ذكره: إنه الحرمان والخسران.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- الدعوة الاسلامية دعوة عامة فهي للأبيض والأصفر على حد سواء.

٢- إطلاق لفظ البرهان على النبيّ محمد ﷺ لأنه بأميته وكماله الذي لا مطمع لبشريّ أن يساميه فيه برهان على وجود الله وعلمه ورحمته.

٣- القرآن نور لما يحصل به من الإهتداء إلى سبيل النجاة وطرق السعادة والكمال..

٤- ثمن السعادة ودخول الجنة الإيمان بالله ورسوله ولقائه والعمل الصالح وهو التمسك بالكتاب والسنة المعبر عنه بالاعتصام.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

شرح الكلمات:

يستفتونك[2] : يطلبون فتياك في كذا.

---

(١) الرحمة: الجنة بعد النجاة من النار، والفضل: ما ينعم به عليهم في دار السلام، وأعظمه النظر إلى وجهه الكريم وقوله تعالى: ﴿ويهديهم إليه صراطاً مستقيما﴾ أي يهديهم إلى ما يصل بهم إلى رضاه، وجواره، وهو الإسلام، وذلك بأن يثبتهم عليه حتى الموت.

(٢) روي أن هذه الآية وتسمى آية الكلالة نزلت في آخر ما نزل، وسبب نزولها أن جابر بن عبدالله مرض فعاده رسول الله ﷺ مع أبي بكر فاغمي على عبد الله فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صب عليه من فضل وضوئه فأفاق فقال يا رسول الله كيف أقضي في مالي وكان له تسع أخوات فلم يرد عليه شيئا حتى نزلت هذه الآية.

يفتيكم : يبينّ لكم ما أشكل عليكم من أمر الكلالة.

الكلالـة : أن يهلك الرجل ولا يترك ولداً ولا ولد ولد وإنما يترك أخا أو أختاً.

الحـظ : النصـيب.

أن تضلوا : كيلا تضلوا أي تخطئوا في قسمة التركة.

معنى الآية الكريمة :

هذه الآية تسمى آية الكـلالـة[1]، وآيات المـواريث أربـع الأولى في شأن الولد والوالد ﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكـر مثـل حظ الانثـيين[2]﴾ والثانية في شأن الزوج والزوجة ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم﴾ الخ . . وفي شأن الإخوة لأم ﴿وإن كان رجل يورث كلالة او امرأة وله أخ أو أخت﴾ الخ . . وهاتان الآيتان تقدمتا في أول سورة النساء، والثالثة هي هذه ﴿يستفتونك﴾ الخ. وهى في شأن ميراث الاخوة والأخوات عند موت أحدهم ولم يترك ولداً ولا ولد ولد. . وهو معنى الكلالة والرابعة فى آخر سورة الانفال وهي في شأن ذوى الأرحام وهى قوله تعالى : ﴿ وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾.

وهـذه الآية نزلت عند سؤال بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الكلالة فقال تعالى يسألونك أيها الرسول عن الكلالة قل للسائلين الله يفتيكم في الكلالة وهذه فتواه : إن هلك امرؤ ذكراً كان أو أنثى وليس له ولد ولاولد ولد وله أخت شقيقة أو لأب فلها نصف ما ترك، وهو يرثها أيضاً إن لم يكن لها ولد ولا ولد ولد. فإن كانتا اثنتين فلهماالثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً أي ذكوراً وإناثاً فللذكر مثل حظ الانثيين وبعد أن بيّن تعالى كيف يورث من مات كلالة قال مبيّناً حكمة هذا البيان : ﴿يبين الله لكم أن تضلوا[3]﴾ أي كيلا تضلوا في قسمة التركات فتخطئوا الحق وتجوروا في قسمة أموالكم. ﴿والله بكل شيء عليم[4]﴾ فلا

---

(١)وتسمى آية الصيف لانها نزلت في زمن الصيف، وقال عمر رضي الله عنه إني والله لا أدع شيئاً أهمّ إليّ من أمر الكلالة وقد سألت رسول الله عنها فما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيها حتى طعن في جنبي أو صدري وقال: «ياعمر الا تكفيك آية الصيف».

(٢) الجمهور ما عدا ابن عباس والظاهرية على أنّ الأخوات عصبة مع البنات فلو هلك هالك وترك أختا له وبنتا، فإنّ المال بينهما نصفين وإن ترك ثلاثاً فالمال بينهن أثلاثاً وهكذا الأخوات عصبة مع البنات قضى بهذا معاذ رضي الله عنه.

(٣) بعضهم يقدّر كراهة أن تضلوا، ولمّا كان الحذف لازماً للتخفيف فتقدير كيلا أفضل من لفظ الكراهة، وهو ما ذكرته في التفسير ولم أذكر غيره.

(٤) من جملة الأشياء العليم بها أحوالكم وما تتطلبه حياتكم في الدنيا والآخرة، وهذا يقتضي الثقة والطمأنينة فيما شرع لكم وتنفيذه في إخلاص وحسن أداء.

يجهل شيئا ولا يخفى عليه آخر وكيف وقد أحاط بكل شيء علما سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

١- جواز سؤال[1] من لا يعلم من يعلم للحصول على العلم المطلوب له.

٢- اثبات وجود الله تعالى عليمًا قديراً سميعاً بصيراً وتقرير نبوة محمد ﷺ إذ سؤال الأصحاب واجابة الرب تعالى بواسطة وحيه المنزل على رسوله يقرر ذلك ويثبته.

٣- بيان قسمة تركة من يورث كلالة من رجل أو امرأة فالأخت الواحدة لها من أخيها نصف ما ترك، والاختان لهما الثلثان، والاخوة مع الأخوات للذكر مثل حظ الأنثيين والاخ يرث أخته إن لم يكن لها ولد ولا ولد ولد، والإخوة والأخوات يرثون أختهم للذكر مثل حظ الأنثيين إذا لم تترك ولداً ولا ولد ولد.

سُورَةُ المَائِدَة[2]

مدنيّة

وآياتها مائة وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ

---

(١) بل الواجب أن يسأل كل من لا يعلم حتى يعلم لقول الله تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾.

(٢) سورة المائدة من آخر ما نزل من السور في القرآن، وأحكامها كلها محكمة ما عدا قوله تعالى : ﴿ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد. . .﴾ الآية، وهو قول الشعبي رحمه الله تعالى، وفيها أحكام لم توجد في غيرها من السور، من ذلك حكم المنخنقة وما بعدها، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب، والوضوء وحكم السرقة.

ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

شرح الكلمات :

أوفوا بالعقود : العقود: هي العهود التي بين العبد والرب تعالى وبين العبد وأخيه والوفاء بها: عدم نكثها والاخلال بمقتضاها.

بهيمة الانعام[١] : هي الإبل والبقر والغنم.

وأنتم حرم : أي محرمون بحج أو عمرة.

شعائر الله : جمع شعيرة وهي هنا مناسك الحج والعمرة، وسائر اعلام دين الله تعالى.

الشهر الحرام : رجب وهو شهر مضر الذي كانت تعظمه.

الهدى : ما يُهدى للبيت والحرم من بهيمة الأنعام.

القلائد : جمع قلادة ما يقلد الهدى، وما يتقلده الرجل من لحاء شجر الحرم ليأمن.

آمين البيت الحرام : قاصديه يطلبون ربح تجارة أو رضوان الله تعالى.

وإذا حللتم[٢] : أي من إحرامكم.

ولا يجرمنكم شنآن قوم : أي لا يحملنكم بغض قوم أن تعتدوا عليهم.

أن صدوكم : أي لأجل أن صدوكم.

البر والتقوى : البر: كل طاعة لله ورسوله والتقوى: فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى عنه الله ورسوله ﷺ.

---

(١) سميت البهيمة بهيمة: لابهامها من جهة نقص نطقها وفهمها وعدم تمييزها وعقلها ومنه باب مبهم أي مغلق، وليل بهيم لا يميّز ما فيه من الظلام، وقولهم في الشجاع من الرجال: بهمة لأنه لا يدرى من أين يؤتى.

(٢) قوله تعالى: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ الإجماع على أن الأمر هنا للإباحة وليس للوجوب، وهذه قاعدة أصولية: كل أمر بعد حظر فهو للإباحة.

الإثم والعدوان : الإثم : سائر الذنوب، والعدوان : الظلم وتجاوز الحدود.
شديد العقاب : أي عقابه شديد لا يطاق ولا يحتمل.

معنى الآيتين :

ينادي الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين بعنوان الإيمان فيقول"يا أيها الذين آمنوا أي يا من آمنتم بي وبرسولي ووعدي ووعيدى أوفوا بالعقود[1] فلا تحلوها وبالعهود فلا تنكثوها، فلا تتركوا واجباً ولا ترتكبوا منهياً، ولا تحرموا حلالاً ولا تحلو حراماً أحللت لكم بهيمة الأنعام هي الإبل والبقر والغنم الا ما يتلى عليكم وهي الآتية في آية ﴿حرمت عليكم الميتة والدم...[2]﴾ فلا تحرموها وحرمت عليكم الصيد وأنتم[3] حرم فلا تحلوه. وسلموا الأمر لي فلا تنازعوا فيها أحل وأحرم فإني أحكم ما أريد. هذا ما تضمنته الآية الأولى ﴿يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد[4]﴾.

أما الآية الثانية فقد تضمنت أحكاما بعضها نُسخ العمل به وبعضها محكم يعمل به الى يوم الدين فمن المحكم والواجب العمل به تحريم شعائر الله وهي أعلام دينه من سائر ما فرض وأوجب، ونهى وحرم. فلا تستحل بترك واجب، ولا بفعل محرم، ومن ذلك مناسك الحج والعمرة. ومن المنسوخ الشهر الحرام فإن القتال كان محرماً في الأشهر الحرم ثم نسخ بقول الله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية، ومن المنسوخ أيضاً هدي المشركين وقلائدهم والمشركون أنفسهم فلا يسمح لهم بدخول الحرم ولا يقبل منهم هدى، ولا يجيرهم من القتل تقليد أنفسهم بلحاء شجر الحرم ولو تقلدوا شجر الحرم كله. هذا معنى قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلو شعائر الله، ولا الشهر الحرام ولا الهدى[5] ولا القلائد[6] ولا آمين

---

(١) قال الحسن: يعني عقود الدين، وهي ما عقده المرء على نفسه من بيع وشراء وإجارة وكراء ومناكحة وطلاق، ومزارعة ومصالحة، وتمليك وتخيير، وعتق وتدبير، وكذلك ما عاهد عليه الله تعالى من نذر وسائر التكاليف الشرعية وما خرج من عقد على شريعة الله رد وحل ولا وفاء فيه.

(٢) وما حرّم بالسنة وهو كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور لثبوت ذلك في الصحاح.

(٣) أمّا إذا حلّوا من إحرامهم فالصيد حلال كما هو في غير الإحرام إلاّ ما كان من صيد الحرم فإنّه حرام في الإحرام والإحلال.

(٤) هذه الجملة تقتضي تسليم الأمر لله فلا اعتراض عليه فيما يحل ويحّرم وهو كذلك.

(٥) الهدي : ما يهدى إلى الحرم ومن خصائصه أنه يشعر وذلك بجرح سنامه من الجهة اليمنى حتى يسيل الدم، وبذلك يعلم أنه هدي، وقال بالإشعار كافة الفقهاء إلاّ أبا حنفية ولاموه وعنّفوا عليه لتركه السنة الصحيحة في الإشعار.

(٦) يحرم بيع الهدي إذا أشعر وقلد لأنّه أصبح كالوقف لله تعالى، ومعنى التقليد أن يوضع في عنقه قلادة يعلم بها أنه هدي وهذا يكون في الغنم لأنها لاتشعر.

البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا﴾. والمراد بالفضل الرزق بالتجارة في الحج، والمراد يالرضوان ما كان المشركون يطلبونه بحجهم من رضى الله ليبارك لهم في أرزاقهم ويحفظهم في حياتهم.

وقوله تعالى ﴿وإذا حللتم فاصطادوا. .﴾ خطاب للمؤمنين أذن لهم فى الاصطياد الذي كان محرماً وهم محرمون إذن لهم فيه بعد تحللهم من إحرامهم. وقوله تعالى ﴿. . ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ ينهى عباده المؤمنين أن يحملهم بغض قوم صدوهم يوم الحديبية عن دخول المسجد الحرام أن يعتدوا عليهم بغير ما أذن الله تعالى لهم فيه وهو قتالهم إن قاتلوا وتركهم إن تركوا. ثم أمرهم تعالى بالتعاون على البر والتقوى، أي على أداء الواجبات والفضائل، وترك المحرمات والرذائل، ونهاهم عن التعاون عن ضدها فقال عز وجل: ﴿وتعاونوا على البر[1] والتقوى ولا تعاونوا على الإثم[2] والعدوان﴾. ولما كانت التقوى تعم الدين كله فعلاً وتركاً أمرهم بها، فقال واتقوا الله بالإيمان به ورسوله وبطاعتهما في الفعل والترك، وحذرهم من إهمال أمره بقوله ﴿إن الله شديد العقاب﴾ فاحذروه بلزوم التقوى.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- وجوب الوفاء بالعهود التي بين الله تعالى وبين العبد والمحافظة على العقود التي بين العبد وأخيه العبد لشمول الآية ذلك.

٢- إباحة أكل لحوم الإبل والبقر والغنم إلا الميتة منها.

٣- تحريم الصيد في حال الإحرام وحليته بعد التحلل من الإحرام وهو صيد البر لا البحر.[3]

٤- وجوب إحترام شعائر الدين كلها أداء لما وجب أداؤه، وتركا لما وجب تركه.

٥- حرمة الاعتداء مطلقا حتى على الكافر.

٦- وجوب التعاون بين المؤمنين على إقامة الدين، وحرمة تعاونهم على المساس به.

---

(١) في البر وهو فعل الخير رضا الناس، وفي التقوى رضا الله، ومَنْ جمع بين رضا الناس ورضا الله، فقد جمع الخير كله وتمت سعادته في دنياه وآخرته.

(٢) أي ولا تعانوا على فعل الاثم من سائر كبائر الذنوب والفواحش ولا على الظلم والاعتداء إذ كلاهما مما حرّم الله تعالى.

(٣) لأن صيد البحر حلال في الإحرام وغيره لقوله تعالى: ﴿وأحلّ لكم صيد البحر ما دمتم حرماً﴾ الآية من آخر هذه السورة.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

الميتة : ما مات من بهيمة الأنعام حتف أنفه أي بدون تذكية.[١]

وما أهل لغير الله به : أي ما ذكر عليه اسم غير اسم الله تعالى مثل المسيح، أو الولي، أو صنم.

المنخنقة : أي بحبل ونحوه فماتت.

الموقوذة[٢] : أي المضروبة بعصا أو حجر فماتت به.

المتردّية : الساقطة من عال إلى أسفل مثل السطح والجدار والجبل فماتت.

النطيحة[٣] : ما ماتت بسبب نطح أختها لها بقرونها أو رأسها.

وما أكل السبع : أي ما أكلها الذئب وغيره من الحيوانات المفترسة.

إلا ما ذكيتم[٤] : أي أدركتم فيه الروح مستقرة فذكيتموه[٥] بذبحة أو نحره.

وما ذبح على النصب : أي ما ذبح على الأصنام المنصوبة التي تمثل إلهاً أو زعيماً أو عظيماً، ومثلها ما ذبح على أضرحة الأولياء وقبورهم وعلى الجان.

---

(١) ومن غيرها من مأكول اللّحم كالضباء والأرانب، وأنواع الصيد باستثناء ما ذكر عليه اسم الله حال صيده فإنّ ما مات منه يؤكل ولو لم يذكّ ولا يقال فيه ميتة.

(٢) يقال وقذه يقذه وقذاً: إذا ضربه بحجر ونحوها، والوقذ: شدة الضرب.

(٣) فهي فعيلة بمعنى مفعولة، فالنطيحة هي المنطوحة.

(٤) الاستثناء متصل وهو راجع على كل ما أدرك ذكاته من المذكورات وفيه حياة ولا التفات إلى الخلاف في هذه المسألة.

(٥) ما ذبح من قفاه لا يؤكل إجماعاً واختلف فيما إذا رفع المذكي يده قبل إنهاء الذكاة ثمّ ردّها فوراً، الصحيح أنها تؤكل، ولا خلاف في جواز أكل البعير إذا ند أو وقع في بئر فإنه كيفما ذكي جاز أكله للحديث الصحيح.

وان تستقسموا : أي وحرم عليكم ما تحصلون عليه بالاستقسام بالأزلام ومثله ما يأخذه صاحب الكهانة والشواقة وقرعة الأنباء، والحروز الباطلة التي فيها طلاسم وأسماء الجن والعفاريت.

ذلكم فسق : أي ما ذكر من أكل الميتة إلى الاستقسام بالأزلام خروج عن طاعة الله تعالى ومعصية له سبحانه وتعالى.

فمن اضطر : أي من ألجأته ضرورة الجوع فخاف على نفسه الموت فلا بأس أن يأكل مما ذكر.

في مخمصة : المخمصة شدة الجوع حتى يضمر البطن لقلة الغذاء به.

غير متجانف : غير مائل لإثم يريد غير راغب في المعصية بأكل ما أكل من الميتة وذلك بأن يأكل أكثر مما يسد به رمقه ويدفع به غائلة الجوع المهلك.

معنى الآية الكريمة :

هذه الآية الكريمة هي تفسير وتفصيل لقوله تعالى في الآية الأولى من هذه السورة وهو قوله : ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ حيث ذكر في هذه الآية سائر المحرمات من اللحوم وهي عشر كما يلي :

الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذبح على النصب.[1]

وقوله تعالى : ﴿إلا ما ذكيتم﴾[2] يريد ما أدركتم فيه الروح مستقرة. بحيث إذا ذبحتموه اضطرب للذبح وركض برجليه فإن هذا علامة أنه كان حياً وأنه مات بالذبح.[3]

وقوله ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ يريد ولا يحل لكم الاستسقام بالأزلام، ولا أكل ما يعطى عليها وحقيقتها أنهم كانوا في الجاهلية يضعون القداح المعبر عنها بالأزلام جمع زلم وهو رمح صغير لازج له ولا ريش فيه، يضعونها في خريطة كالكيس، وقد كتب على واحد أمرني

---

(١) ما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به هما كشيء واحد إلا أن ما أهلّ لغير الله به غالباً يكون مذبوحاً لغير الأصنام كالأنبياء، والأولياء.

(٢) الذكاة في لغة العرب : الذبح، فقوله تعالى : ﴿إلاّ ما ذكّيتم﴾ أي ذبحتم مع ذكر اسم الله عليها، وفي الحديث: «ذكاة الجنين ذكاة أمه»، والذكاء : سرعة الفطنة، والتذكية مأخوذة من التطيّب، فذكّاها : بمعنى طيّبها بالذبح، ومنه : رائحة ذكية أي طيبة.

(٣) والذكاة تقع بكل حادٍ ينهر الدم ويفري الأوداج، ما عدا العظم والسن لقوله ﷺ : «ليس السّنّ والظفر» لأنّ السنّ عظم ، والظفر مدى الحبشة.

ربي وآخر نهاني ثم يجيلها المستقسم بها في الخريطة ويخرج زلماً منها فإن وجده مكتوباً عليه أمرني ربي مضى في عمله سفراً أو زواجاً، أو بيعاً أو شراء، وإن وجده مكتوباً عليه نهاني ربي ترك ما عزم على فعله[1] فجاء الإسلام فحرم الاستقسام بالأزلام، وسنَّ الاستخارة وهي أن يصلي المؤمن ركعتين من غير الفريضة ويقول: اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به، ويسمي حاجته. ويفعل أو يترك ما عزم عليه، والذي يأتيه هو الخير بإذن الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ذلكم فسق﴾ يريد ما ذكرت لكم مما حرمت عليكم إتيانه هو الفسق فاتركوه.

وقوله تعالى: ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون﴾ يخبر تعالى عباده المؤمنين أن الكافرين من المشركين وغيرهم قد يئسوا مِنْ أن يردوكم عن دينكم كما كان ذلك قبل فتح مكة ودخول ثقيف وهوازن في الإسلام، وظهوركم عليهم في كل معركة دارت بينكم وبينهم إذاً فلا تخشوهم بعد الآن أن يتمكنوا من قهركم وردكم إلى الكفر واخشوني أنا بدلهم وذلك بطاعتي وطاعة رسولي ولزوم حدودي والأخذ بسنتي في كوني حتى لا تتعرضوا لنقمتي بسلب عطائي فإن نصرتي لأهل طاعتي وإذلالي لأهل معصيتي.

وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[2] فهو إخبار منه تعالى لعباده المؤمنين بما هو إنعام عليهم منه وامتنان فأولا: إكمال الدين[3] بجميع عقائده وعباداته وأحكامه وآدابه حتى قيل أن هذه الآية نزلت عشية يوم عرفة عام

---

(١) هي ثلاثة أزلام كتب على أحدها: أمرني ربي وعلى الثاني: نهاني ربي والثالث مهمل لم يكتب عليه شيء ويجعلها في خريطته فإذا خرج أمرني مَضى في عمله وإذا خرج نهاني ترك ما أراد فعله، وإذا خرج المهمل أعاد الضرب في الخريطة، وهناك نوعان من الاستقسام غير ما ذكرنا.

(٢) هذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم..﴾ نزلت بعرفة يوم الجمعة في حجّة الوداع بعد العصر والرسول ﷺ على ناقته العضباء كما هو واضح في رواية مسلم في صحيحه.

(٣) ووجه إكمال الدين أنه كان قبل الهجرة مقصوراً على الشهادتين، والصلاة، ولمّا هاجر ﷺ إلى المدينة أخذ التشريع ينزل يوما بعد يوم حتى كمل وأعلن عنه الربّ تعالى في حجّة الوداع بقوله: ﴿اليوم أكملت..﴾ الخ.

حجة الوداع، ولم يعش بعدها رسول الله ﷺ إلا احدى وثمانين ليلة ثم توفاه الله تعالى وثانياً: إتمام نعمته تعالى عليهم فآمنهم بعد الخوف وقواهم بعد ضعف، ونصرهم وأعزهم بعد قهر وذل وسودهم وفتح البلاد لهم وأظهر دينهم وأبعد الكفر والكفار عنهم، فعلمهم بعد جهل وهداهم بعد ضلال فهذه من النعمة التي أتمها عليهم وثالثاً رضاه بالإسلام ديناً لهم حيث بعث رسوله به وأنزل كتابه فيه فبين عقائده وشرائعه فأبعدهم عن الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية، وأغناهم عنها بما رضيه لهم ألا وهو الإسلام القائم على الاستسلام لله تعالى ظاهراً وباطناً وذلك سلم العروج الى الكمالات ومرقى كل الفواضل والفضائل والسعادات فلله الحمد وله المنة.

وقوله تعالى: ﴿فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ يريد تعالى من اضطر أي ألجأته الضرورة وهي شدة الجوع وهي المخصمة[1] والمسغبة إلى أكل ما حرمت عليكم من الميتة وأنواعها فأكل فلا إثم عليه فإني غفور لعبادي المؤمنين رحيم بهم إلا أن يكون قد أكل من الميتة وأنواعها متعمداً المعصية مائلاً إليها غير مبال بتحريمي لها فذاك الذي عصاني وتعرض لنقمتي وعذابي فإن تاب فإني غفور رحيم، وإن أصر فإن عذابي أليم شديد.

هداية الآية

من هداية الآيـة:

١ـ حرمة الميتة وما ذكر معها وهي عشر من المحرمات.

٢ـ حرمة الاستقسام بالأزلام ومثلها قرعة الأنبياء وخط الرمل والكهانة وما أشبه ذلك.

٣ـ حرمة الذبح على القبور والقباب والنصب التذكارية وهي من الشرك.

٤ـ جواز أكل ما أدركه المسلم حياً من الحيوان المأكول فذكّاه وإن كان قد جرح أو كسر أو أشرف على الموت بأي سبب مميت.[2]

---

(١) المخمصة لغة: الجوع، وخلاء البطن من الطعام، والخمص: ضمور البطن، ومنه الحديث «إنّ الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» وفي الحديث أيضاً: «خماص البطون خفاف الظهور» والخميصة: ثوب، وجمعها خمائص: ثياب خز وصوف: وفي الحديث «تعس عبد الخميصة».

(٢) من آداب التذكية: الرّفق بالحيوان، احداد الشفرة، أن يوجهها إلى القبلة، تركها حتى تبرد قبل أن يشرع في سلخها، إحضار نيّة الإباحة قبل الشروع في الذبح بأن يقول: باسم الله والله أكبر. والاعتراف بالمنّة لله حيث سخر لنا هذا الحيوان ولو شاء لسلطه علينا، وأباح لنا ما لو شاء لحرمه علينا، وكل هذه الآداب جاءت في قوله ﷺ: «إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح» الحديث.

٥ـ وجوب خشية الله تعالى وحرمة خشية الكفار.

٦ـ حرمة الابتداع في الدين وحرمة التشريع المنافي للشرع الإسلامي.

٧ـ جواز أكل الميتة للمضطر وهو من لحقه ضرر من شدة الجوع فخاف على نفسه الهلاك على شرط أن لا يكون قاصداً المعصية مائلاً إلى الإثم.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

شـرح الكلمـات :

الطيبات : ما أذن الله تعالى في أكله وأباحه لعباده المؤمنين.

الجـوارح : جمع جارحة بمعنى كاسبة تجرح بمعنى تكسب.

مكلبيـن[1] : أي مرسلين الجارحة على الصيد سواء كانت الجارحة كلباً أو طيراً[2].

طعام الذين أوتوا الكتاب : ذبائح اليهود والنصارى.

المحصنات : جمع محصنة وهي العفيفة الحرة من النساء.

---

(١) المكلِّب: هو معلم الكلاب، ومدربها على الصيد، ويقال للصائد مكلب، وعليه فقوله: ﴿مكلبين﴾ يكون بمعنى صائدين.

(٢) يكتفى في الطير بأن تطيع إذا أمرت، إذ هي دون الكلاب في الاستعداد للفهم والاستجابة ومثلها سباع الوحوش فإنها دون الكلاب أيضاً إلا أنّ الجمهور يشترط فيها ما يشترط في الكلاب.

أجورهن	: مهورهن وصدقاتهن .
غير مسافحين	: غير مجاهرين بالزنى .
أخـدان	: جمع خدن وهو الخليل والصاحب السريّ .
ومن يكفر بالايمان	: أي يرتد عن الإيمان فالباء بمعنى عن إذ يقال ارتد عن كذا . . .
حبـط عمله	: بطل كل ما قدمه من الصالحات فلا يثاب عليه .

معنى الآيتين :

ورد أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فاستأذن فأذن له النبي ﷺ فأبى أن يدخل لوجود كلب صغير في البيت فقال : (إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب) فأمر النبي بعدها بقتل الكلاب فقتلت ثم جاء بعضهم يسأل عما يحل لهم من أمة الكلاب فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿يسألونك ماذا أحل لهم؟ قل أحل لكم الطيبات﴾[1] وهي كل ما لذ وطاب مما أباحه الله تعالى ولم ينه عنه ، وأحل لكم كذلك صيد ما علمتم من الجوارح وهي الكلاب الخاصة بالاصطياد والفهود والنمور والطيور كالصقور ونحوها . مكلبين أي مرسلين لها على الصيد لتمسكه لكم ، ﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾ . أي تؤدبون تلك الجوارح بالأدب الذي أدبكم الله تعالى به ، وحد الجارحة المؤدبة أنها إذا اشليت أي أرسلت على الصيد ذهبت إليه وإذا زُجرت انزجرت وإذا دعيت أجابت . وقوله تعالى : ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم[2] واذكروا اسم الله عليه﴾ يفيد شرطين لحلية الصيد زيادة على كون الجارحة معلمة وهما أولاً أن يذكر اسـم الله عند إرسال الجارحة بأن يقول : بسم الله هاته مثلا ، والثاني[3] أن لا تأكل الجارحة منه فإن أكلت منه فقد أمسكت لنفسها ولم تمسك لمن أرسلها ، اللهم إلا إذا أدركت حية لم تمت

---

(١) ذكر القرطبي أنّ الآية : ﴿يسألونك . . .﴾ نزلت بسبب عدي بن حاتم وزيد الخيل الذي سماه الرسول ﷺ : زيد الخير، إذ قالا : يارسول الله إنّا قوم نصيد بالكلاب ، والبزاة ، وإنّ الكلاب تأخذ البقر والحمر، والظباء ، فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما تقتله فلا ندرك ذكاته ، وقد حرّم الله الميتة فماذا يحل لنا؟ فنزلت الآية : ﴿يسألونك . . .﴾ الخ ، ولا منافاة بين ما ذكر في التفسير وبين هذا ، إذ يسأل السائل فيقرأ عليه الرسول الآية فيرى أنها نزلت فيه .

(٢) ﴿مما أمسكن عليكم﴾ على هنا بمعنى اللام ، أي مما أمسكن لكم ولأجلكم كقولهم : سجن على كذا ، وضرب الصبي على قوله كذا .

(٣) ذكر القرطبي الإجماع على أنّ الكلب إذا لم يكن أسود ، وعلّمه مسلم فيشلي إذا أشلى ، ويجيب إذا دعي وينزجر بعد ظفره بالصيد إذا زجر وأن يكون لا يأكل من صيده الذي صاده وأثر فيه بجرح أو تنييب وصاد به مسلم وذكر اسم الله عند إرساله أنّ صيده صحيح . هذه الشروط داخلة في الشرطين اللذين ذكرتهما الآية كما في التفسير إلاّ اشتراط أن لا يكون الكلب أسود . وهذا الشرط فيه خلاف .

ثم ذكيت فعند ذلك تحل بالتذكية لا بالاصطياد،[1] وقوله تعالى: ﴿واتقوا الله ان الله سريع الحساب﴾ وعيد لمن لم يتق الله في أكل ما حرم أكله من الميتة وأنواعها، ومن صيد صاده غير معلّم من الجوارح، أو صاده معلم ولكنه أكل منه فمات قبل التذكية. فلتتق عقوبة الله في ذلك فإن الله سريع الحساب.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤) أما الآية الثانية (٥) وهي قوله تعالى: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات﴾ أي في هذا اليوم الذي أكمل الله تعالى لكم فيه الدين أحل لكم ما سألتم عنه وهو سائر الطيبات وكذا طعام الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وهم اليهود والنصارى خاصة فطعامهم أي ذبائحهم حل لكم، وطعامكم حل لهم أي لا بأس أن تطعموهم من طعامكم فإن ذلك جائز لكم ولهم. وأحل لكم أيضاً نكاح المحصنات أي العفائف من المؤمنات، والمحصنات من نساء الذين أتوا الكتاب من قبلكم وهن العفائف من اليهوديات والنصرانيات، على شرط إتيانهن أجورهن أي مهورهن حال كونكم محصنين أي عاقدين عليهن عقدة النكاح المتوقفة على المهر والولي والشهود وصيغة الإيجاب والقبول، لا مسافحين بإعطاء المرأة أجرة وطئها فقط بدون عقد مستوف لشروطه، ولا متخذي أخدان أيضاً بأن تنكحوهن سراً بحكم الصحبة والصداقة والمحبة إذ ذاك هو الزنى فلا يحل بأجرة ولا بغير بأجرة وقوله تعالى: ﴿ومن يكفر بالإيمان[2] فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ فيه إشارة إلى أن استباحة المحرمات والجرأة على ذلك قد تؤدي إلى الكفر، ومن يكفر بعد إيمانه فقد حبط عمله أي بطل ثواب ما عمله في إسلامه، حتى ولو راجع الإسلام فليس له إلا ما عمله بعد رجوعه إلى الإسلام، وإن مات قبل العودة إلى الإسلام فهو قطعاً في الآخرة من الخاسرين بإلقائهم في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ مشروعية سؤال من لا يعلم عما ينبغي له أن يعلمه.

٢ـ حلية الصيد إن توفرت شروطه وهي أن يكون الجارح معلماً وأن يذكر اسم الله تعالى عند

---

(١) قوله ﷺ: «إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل» دالّ على أنّ الصائد يتعيّن عليه أن يقصد عند إرسال الكلب والطير، التذكية والإباحة، إذ الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى.

(٢) لفظ الإيمان: مصدر آمن يؤمن إيماناً، أطلق وأريد به الإسلام، لأنّ الإسلام والإيمان متلازمان، ما أسلم مَنْ لم يؤمن وما آمن مَنْ لم يسلم ومعنى الآية: ﴿ومَنْ يرتد عن الإسلام...﴾ الخ.

إرساله وأن لا يأكل منه الجارح، ويجوز أكل ما صيد برصاص أو بآلة حادة[1] بشرط ذكر اسم الله عند رميه ولو وجد ميتاً فلم يذك.

٣- إباحة طعام وذبائح أهل الكتاب.

٤- إباحة نكاح الكتابيات بشرط أن تكون حرة[2] عفيفة وأن يعقد عليها العقد الشرعي وهو القائم على الولي والشهود والمهر والصيغة بأن يقول الخاطب لمن يخطبه من ولي ووكيل زوجني فلانه فيقول له قد زوجتكها.

٥- حرمة نكاح المتعة ونكاح الخلة والصحبة الخاصة.

٦- المعاصي قد تقود إلى الكفر.

٧- المرتد عن الإسلام يحبط عمله فلو راجع الإسلام لا يثاب على ما فعله قبل الردة وإن مات قبل العودة إلى الإسلام خسر نفسه وأهله يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾

---

(١) لفظ: حادّة احتراز من غير الحادة كالعصا وعرض المعراض والحجر ونحوها لحديث: «إذا ضربت بالمعراض فخرق فكله وإن أصابه بعرض فإنه وقيذ فلا تأكله، إذ المعراض سهم بلا ريش غليظ الوسط يصيب بحدّه وعرضه معاً، فإن أصاب بحدّه جاز أكل ما أصابه، وإن أصاب بعرضه فهو كالموقوذة فلا يؤكل.

(٢) لأنّ الأمة الكافرة لا تحل للمؤمن لقول الله تعالى: ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ أي لا الكافرات، الآية من سورة النساء.

وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

إذا قمتم إلى الصلاة : أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون[1] أي على غير وضوء.

فاغسلوا وجوهكم : أي بعد غسل الكفين ثلاثاً والمضمضة والاستنشاق والاستنثار ثلاثاً ثلاثاً لبيان رسول الله ﷺ[2] ذلك.

وارجلكم إلى الكعبين : أي واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين إلا أن يكون عليها خف ساتر فإنه يجوز المسح عليه دون حاجة إلى نزعه وغسل الرجلين، وذلك إن لبسه بعد وضوء ولم يمض على لبسه أكثر من يوم وليلة إن كان مقيماً، أو ثلاثة أيام إن كان مسافراً بهذا جاءت السنة.[3]

وإن كنتم جنباً : الجنب من قامت به جنابة وهي شيئآن: غياب رأس الذكر في الفرج، وخروج المنى بلذة في نوم أو يقظة.

فاطهروا : يعني فاغتسلوا، والغسل هو غسل سائر الجسد بالماء.

الغائط : كناية عن الخارج من أحد السبيلين من عذرة أو فساء أو ضراط، أو بول أو مذى.

او لامستم النساء : ملامسة النساء كناية عن الجماع، كما أن من لامس امرأة ليتلذذ بها

---

(١) إنّ خلافاً طويلاً عريضاً في تأويل هذه الآية وهو يدور على هل الوضوء واجب لكل صلاة أو هو مستحب أو واجب على المحدث لا غير ومستحب لغيره، وهل في الآية تقديم وتأخير؟ والذي عليه جمهور الأمّة أن الوضوء واجب على المحدث لا غير ومستحب لغيره وأنّ تأويل الآية هو كما في التفسير، ومما تنبغي الإشارة إليه أن الوضوء والغسل والتيمم كلها كانت مشروعة قبل نزول هذه الآية، إذ ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بغير وضوء، ومشروعية التيمم نزلت في غزوة المريسيع، وكانت سنة خمس أو ست من الهجرة، وعليه فالآية شملت الطهارة بأنواعها مؤكدة لها لتبقى خالدة تتلى في كتاب الله يتعبّد بتلاوتها ويعمل بمضمونها علما وعملا إذ سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن كما تقدّم.

(٢) ورد هذا في حديث عثمان في الصحيح إذ فيه: «ثم تمضمض، واستنشق، واستنثر.

(٣) لحديث مسلم عن علي رضي الله عنه أنه قال: «جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم» يعني في المسح على الخفين.

أو لامسها لغير قصد اللذة ووجد اللذة فقد انتقض وضوءه ومن هذا مس الفرج باليد لأنه مظنة اللذة لذا قال الرسول ﷺ «من أفضى منكم بيده إلى فرجه فليتوضأ».

فتيمموا صعيداً : اقصدوا تراباً أو حجراً أو رملاً أو سبخة مما صعد على وجه الأرض.

الحـــرج : المشقة والعسر والضيق.

ميثاقـــه : أي ميثاق الله تعالى وهو عهده المؤكد والمراد به هنا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إذ بها وجب الالتزام بسائر التكاليف الشرعية.

معنى الآيتين :

نادى الرب تعالى عباده المؤمنين به وبرسوله ووعده ووعيده ليأمرهم بالطهارة إذا هم أرادوا الصلاة وهي مناجاة العبد لربه لحديث المصلي يناجي[1] ربه، وبين لهم الطهارة الصغرى منها وهي الوضوء، والكبرى وهي الغسل، وبين لهم ما ينوب عنهما إذا تعذر وجود الماء الذي به الطهارة أو عجزوا عن استعماله وهو التيمم فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم﴾ وحدُّ الوجه طولاً من منبت الشعر أعلى الجبهة إلى منتهى الذقن أسفل الوجه وحده عرضاً من وتد الأذن اليمنى إلى وتد الأذن اليسرى ﴿وأيديكم الى المرافق﴾ فيشمل الغسل الكفين والذراعين إلى بداية العضدين فيدخل في الغسل المرفقان ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ واللفظ محتمل للكل والبعض والسنة بينت أن الماسح يقبل بيديه ويدبر بهما فيمسح جميع رأسه وهو أكمل وذلك ببلل يكون في كفيه، كما بينت السنة مسح الأذنين ظاهراً وباطناً بعد مسح الرأس ﴿وأرجلكم الى الكعبين﴾ أي واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين وهما العظمان الناتئان عند بداية الساق، وبينت السنة رخصة المسح[3] على الخفين بدلاً من غسل الرجلين، كما بينت غسل الكفين والمضمضة والاستنشاق والاستنثار، وكون

(١) نص الحديث: «إذا كان أحدكم في الصلاة فإنه يناجي ربّه» وفي رواية البخاري: «إذا كان أحدكم في الصلاة فإنّ ربّه بينه وبين القبلة».

(٢) وكل ما ذكر في التفسير من صفة الوضوء والغسل، والتيمم هو ثابت في الصحاح والسنن، وليس فيه ما هو ضعيف قط.

(٣) وضلت الرافضة فأخذوا بقراءة ﴿وأرجلكم﴾ بالكسر، فمسحوا أرجلهم في كل وضوء وتركوا غسل الرجلين أبداً، والحامل لهم على ذلك أن رؤساءهم زينوا لهم ذلك وأوجبوه عليهم لعلّة أن يبقوا بعيدين عن الإسلام والمسلمين ليستغلوهم مادياً، وليعدّوهم لقتال المسلمين لإعادة دولة المجوس التي يحلمون بها، وأمّا أهل السنة والجماعة فإنهم عملوا بكتاب ربّهم وسنّة نبيهم فغسلوا أرجلهم، لأنّ نبيهم لم يسمح رجليه بدون خف قط، ومسحوا على الخفين كما مسح نبيهم **فأخذوا بالقراءتين معاً**

الغسل ثلاثاً ثلاثاً على وجه الاستحباب، وقول بسم الله عند الشروع أي البدء في الوضوء.

كما بينت السنة وجوب الترتيب بين الأعضاء المغسولة الأول فالأول، ووجوب الفور بحيث لا يفصل بزمن بين أعضاء الوضوء حال غسلها بل يفعلها في وقت واحد إن أمكن ذلك وأكدت وجوب النية حتى لكأنه شرط في صحة الوضوء.[1]

وقال تعالى: ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾[2] أي وإن أصابت أحدكم جنابة وهي الجماع والاحتلام فمن جامع زوجته فأولج ذكره في فرجها ولو لم ينزل أي لم يخرج منه المنيّ فقد أجنب كما أن من احتلم فخرج منه منيّ فقد أجنب بل كلّ من خرج منه منيّ بلذة في نوم أو يقظة فقد أجنب وانقطاع دم حيض المرأة ودم نفاسها كالجنابة يجب منه الغسل، وقوله ﴿فاطهروا﴾ يريد فاغتسلوا وقد بينت السنة كيفية الغسل وهي أن ينوي المرء رفع الحدث الأكبر بقلبه ويغسل كفيه قائلاً بسم الله ويغسل فرجيه وما حولهما، ثم يتوضأ الوضوء الأصغر المعروف، ثم يخلل أصول شعر رأسه ببلل يديه، ثم يغسل رأسه[3] ثلاث مرات، ثم يقبض الماء على شق جسده الأيمن كله من أعلاه إلى أسفله، ثم الأيسر، ويتعاهد الأماكن التي قد ينبو عنها الماء فلا يمسها كالسرة وتحت الإبطين، والرفقين وهما أصل الفخذين، وقوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء﴾ ذكر تعالى في هذه الجملة الكريمة نواقض الوضوء وموجب الانتقال منه إلى التيمم فقال: ﴿وإن كنتم مرضى﴾ فالمريض قد يعجز عن الوضوء لضعف جسمه بعدم القدرة على التحرك، وقد تكون به جراحات أو دماميل يتعذر معها استعمال الماء حيث يزداد المرض بمس الماء، وقوله ﴿أو على سفر﴾ إذ السفر مظنة عدم وجود الماء هذه موجبات الانتقال من الوضوء إلى التيمم، وقوله عز وجل: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط[4] أو لامستم النساء﴾.

---

(١) بعض الفقهاء يعدون النيّة فرضاً من فروض الوضوء، وبعضهم يعدها شرطاً، وما دام المشروط يتوقف على شرطه صحة وبطلانا، والفرض إذا ترك بطل الوضوء فإنه خلاف لفظي لا غير.

(٢) ﴿فاطهروا﴾ أصلها فتطهروا فادغمت التاء في الطاء لاتحاد مخرجيهما، ومعنى: اطهروا اغتسلوا، وفي الحديث الصحيح: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور..».

(٣) مع أذنيه ظاهراً وباطناً.

(٤) أصل الغائط أنه المكان المنخفض، ولمّا كان من يريد قضاء حاجته يأتي المكان المنخفض ليستتر عن أعين الناس، اطلق لفظ الغائط على ما يحل فيه من بول وعذرة.

ذكر في الجملة الأولى نواقض الوضوء إجمالاً وهو الخارج من السبيلين من عذرة وفساء وضراط وبول ومذي كنى عنه بقوله: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ وهو مكان التغوط والتبول وذكر موجب الغسل وهو الجماع وكنىّ عنه بالملامسة تعليمًا لعباده المؤمنين الآداب الرفيعة في مخاطباتهم، وقوله: ﴿فلم تجدوا ماء﴾ للوضوء أو الغسل بعد أن طلبتموه فلم تجدوه فتيمموا، اقصدوا من أم الشيء إذا قصده صعيداً طيباً يريد ما صعد على وجه الأرض من أجزائها كالتراب والرمل والسبخة والحجارة وقوله: ﴿طيباً﴾ يريد به طاهراً من النجاسة والقذر، وقوله: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ بين فيه كيفية التيمم، وهي أن يقصد المرء التراب الطاهر وإن تعذر ذلك فما تيسر له من أجزاء الأرض فيضرب بكفيه الأرض فيمسح بهما وجهه وكفيه ظاهراً وباطناً مرة واحدة وقوله تعالى: ﴿منه﴾ أي من ذلك الصعيد وبهذا بين تعالى كيفية التيمم وهي التي علمها رسول الله ﷺ عمار بن ياسر[1] رضي الله عنه وقوله تعالى: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ يخبر تعالى أنه يأمرنا بالطهارة بقسميها الصغرى وهي الوضوء والكبرى وهي الغسل، وما ينوب عنهما عند العجز وهو التيمم، ما يريد بذلك إيقاعنا في الضيق والعنت، ولكنه تعالى يريد بذلك تطهيرنا من الأحداث والذنوب، لأن الوضوء كفارة لذنب المتوضىء كما جاء بيانه في السنة[2] وهو قوله تعالى: ﴿ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم﴾ أي بهدايتكم إلى الإسلام وتعليمكم شرائعه فيعدكم بذلك لشكره وهو طاعته بالعمل بما جاء به الإسلام من الأعمال الباطنة والظاهرة وهو معنى قوله ﴿لعلكم تشكرون﴾.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦) أما الآية الأخيرة (٧) وهي قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا واطعنا، واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور﴾ فإنه تعالى يأمر عباده المؤمنين أن يذكروا نعمته عليهم بهدايتهم إلى الإيمان ليشكروه بالإسلام، كما يذكروا ميثاقه الذي واثقهم به وهو العهد الذي قطعه المؤمن على نفسه لربه تعالى بالتزامه بطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ عندما تعهد أن لا إله إلا الله وأن

---

(١) إذ قال له: «إنما يكفيك أن تقول هكذا ثمّ ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه» متفق عليه، وورد أنّه يضرب الأرض فيمسح وجهه ثمّ يكررها مرة أخرى فيمسح كفيه. وورد عن ابن عمر مسحهما إلى المرفقين.

(٢) ورد في فضل الوضوء أحاديث صحيحة كثيرة منها: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه» ومنها: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يرفع طرفه إلى السماء ويقول: اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ،اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين إلاّ فتحت له أبواب الجنة الثمانية.

محمداً رسول الله. وأما قوله: ﴿إذ قلتم سمعنا واطعنا﴾ قد قالها الصحابة بلسان القال عندما بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وقد قالها كل مسلم بلسان الحال لما شهد لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة. وقوله تعالى: ﴿واتقوا الله﴾ أمر بالتقوى التي هي لزوم الشريعة والقيام بها عقيدة وعبادة وقضاء وأدباً وقوله: ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ يذكُرهم بعلم الله تعالى بخفايا أمورهم حتى يراقبوه ويخشوه في السر والعلن وهذا من باب تربية الله تعالى لعباده المؤمنين لإكمالهم وإسعادهم فله الحمد وله المنة.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ الأمر بالطهارة[1] وبيان كيفية الوضوء وكيفية الغسل، وكيفية التيمم[2].

٢ـ بيان الأعذار الناقلة للمؤمن من الوضوء إلى التيمم.

٣ـ بيان موجبات الوضوء والغسل.

٤ـ الشكر هو علة الإنعام.

٥ـ ذكر العهود يساعد على التزامها والمحافظة عليها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۙ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَأَجْرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ

---

(١) في الحديث الصحيح: «الطهور شطر الإيمان» رواه مسلم.

(٢) وكيفية المسح على الخفين هي أن يبلّ يده بالماء ثمّ يمسح ظاهر رجله اليمنى ثمّ يمسح ظاهر اليسرى، دون باطنها لحديث علي: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه» ويشترط في المسح أن يلبس خفيه على طهارة.

ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

قوامين لله : جمع قوام وهو كثير القيام لله تعالى بحقوقه وما وجب له تعالى، وبحقوق الغير أيضاً لا يفرط في شيء من ذلك.

شهداء بالقسط : جمع شهيد بمعنى شاهد والقسط العدل.

ولا يجرمنكم : أي لا يحملنكم.

شنآن : بغض وعداوة.

العدل : خلاف الجور، وهو المساواة بلا حيف ولا جور.

هو أقرب للتقوى : أي العدل أقرب للتقوى من الجور.

همّ قوم : أرادوا وعزموا على إنفاذ إرادتهم والقوم هم يهود بني النضير.

يبسطوا إليكم إيديهم : أي ليقتلوا نبيكم ﷺ.

فكف أيديهم : لم يمكنهم مما أرادوه من قتل النبي ﷺ.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم[1] ففي الآية (٨) أمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا قوامين لله تعالى بسائر حقوقه عليهم من الطاعات، وأن يكونوا شهداء بالعدل لا يحيفون ولا يجورون في شيء سواء كان المشهود عليه ولياً أو عدواً، ونهاهم أن يحملهم بغض قوم أو عداوتهم على ترك العدل وقد أمروا به، ثم أمرهم بالعدل وأعلمهم أن أهل العدل هم أقرب الناس إلى التقوى،[2] لأن من كانت ملكة العدل

---

(١) لمّا ذكرهم تعالى في الآيات السابقة بنعمه العظيمة طلب إليهم في هذه الآية أن يشكروا تلك النعم وذلك بالوفاء له بالعهد فقال لهم: «كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط».

(٢) المراد من التقوى: التقوى الكاملة التامة التي هي ملاك الأمر إذ بها تتحقق لهم ولاية ربّهم ما داموا مؤمنين متقين.

صفة له كان أقدر على أداء الحقوق والواجبات، وعلى ترك الظلم واجتناب المنهيات ثم أمرهم بالتقوى مؤكداً شأنها لأنها ملاك الأمر، وأعلمهم بأنه خبير بما يعملون لتزداد ملكة مراقبة الله تعالى في نفوسهم فيفوزون بالعدل والتقوى معاً هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨) أما الآية (٩) فقد تضمنت بشرى سارة[1] لهم وهي أن ربهم قد وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالمغفرة لذنوبهم والأجر العظيم لهم وهو الجنة، وقلت بشرى سارة لهم، لأنهم هم أهل الإيمان وصالح الأعمال رضي الله عنهم وارضاهم، أما الآية الثالثة (١٠) فقد تضمنت وعيداً شديداً للكافرين المكذبين بآيات الله وحججه التي أرسل بها رسله وأيدهم بها، ولازم لكذبهم وكفرهم خبث أرواحهم ولذا فهم لا يلائمهم إلا عذاب النار فكانوا بذلك أصحاب الجحيم[2] الذين لا يفارقونها أبداً، وأما الآية الرابعة (١١) فقد ذكرهم تعالى بنعمة عظيمة من نعمه، هي نجاة نبيهم محمد ﷺ من قتل أعدائه وأعدائهم وهم اليهود إذ ورد في سبب نزول هذه الآية ما خلاصته:

أن أولياء العامريين الذين قتلا خطأ من قبل مسلم حيث ظنهما كافرين فقتلهما جاءوا يطالبون بدية قتيليهم فخرج رسول الله ﷺ ومعه الخلفاء الراشدون الأربعة وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين خرجوا إلى بني النظير يطالبونهم بتحمل شيء من هذه الدية بموجب عقد المعاهدة إذ من جملة موادها تحمل أحد الطرفين معونة الطرف الآخر في مثل هذه الحالة المالية فلما وصلوا إلى ديارهم شرق المدينة استقبلوا رسول الله ﷺ بالحفاوة والتكريم وأجلسوه مكانا لائقاً تحت جدار منزل من منازلهم وأفهموه أنهم يعدون الطعام والنقود، وقد خلوا ببعضهم وتآمروا على قتله ﷺ وقالوا فرصة متاحة فلا نفوتها أبداً وأمروا أحدهم أن يطلق من سطح المنزل حجر رحى كبيرة على رأس النبي ﷺ فتقتله، وما زالوا يدبرون مكيدتهم حتى أوحى الله إلى رسوله بالمآمرة الدنيئة فقام ﷺ وتبعه أصحابه ودخلوا إلى المدينة وفاتت فرصة اليهود واستوجبوا بذلك اللعن وإلغاء المعاهدة وإجلاءهم من المدينة، وقصتهم في سورة الحشر، والمقصود من هذا بيان المرادامن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين

---

(١) لقوله تعالى: ﴿الا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

(٢) في الآية قصر ادعائي وهو قوله تعالى: ﴿أولائك أصحاب الجحيم﴾ أي لا غيرهم كأنهم المتأهلون للعذاب والخلود فيه، دون غيرهم، وذلك لعظم جرمهم بالكفر والتكذيب.

آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم إيديهم[1]﴾ أي بالقتل للنبي ﷺ ﴿فكف أيديهم عنكم﴾ حيث أوحى إلى رسوله ما دبره اليهود فانصرف وتركهم لم يظفروا بما أرادوا وهو معنى ﴿فكف أيديهم[2] عنكم﴾.

ثم أمر الله تعالى المؤمنين بتقواه إذ هي سلم كمالهم وسبيل نجاحهم وهي عبارة عن امتثال أمره وأمر رسوله واجتناب نهيهما وأرشدهم إلى التوكل عليه تعالى في جميع أمورهم بقوله ﴿وعلى[3] الله فليتوكل المؤمنون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب القيام بحق الله تعالى على العبد وهو ذكره وشكره بطاعته.

٢- وجوب العدل في الحكم والقول والشهادة والفعل ومع الولي والعدو سواء.

٣- تأكيد الأمر بتقوى الله عز وجل.

٤- الترغيب والترهيب بذكر الوعد والوعيد كما في الآيتين (٩) و(١٠).

٥- وجوب ذكر النعمة حتى يؤدى شكرها.

٦- وجوب التوكل على الله تعالى والمضي في أداء ما أوجب الله تعالى.

۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ

---

(١) ولهذا الحادثة نظيراتها فقد تعددت مؤامرات اليهود، والمشركين على النبي ﷺ والمؤمنين ففي الحديبية حصل مثل هذا وحادثة غورث ودعثور كذلك إذ الكل همّوا فيها ببسط ايديهم بالأذى ولكنّ الله كفّ أيديهم فله الحمد وله المنّة.

(٢) كف اليد: كناية عن عدم القتل، والقتال، وبسطها كناية عن السوء والأذى الحاصل بها.

(٣) في الآية قصر حقيقي، وهو أن التوكل لا يكون إلّا على الله إذ لا كافي إلا هو سبحانه وتعالى.

جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

الميثاق : العهد المؤكد بالأيمان.

بنو إسرائيل : اليهود.

نقيباً [1] : نقيب القوم: من ينقب عنهم ويبحث عن شؤونهم ويتولى أمورهم.

وعزرتموهم [2] : أي نصرتموهم ودافعتم عنهم معظمين لهم.

وأقرضتم الله : أي أنفقتم في سبيله ترجون الجزاء منه تعالى على نفقاتكم في سبيله.

لأكفرن عنكم سيئاتكم : أسترها ولم أوآخذكم بها.

فقد ضل سواء السبيل : أخطأ طريق الهدى الذي يفلح سالكه بالفوز بالمحبوب والنجاة من المرهوب.

معنى الآية الكريمة :

لما طالب تعالى المؤمنين بالوفاء بعهودهم والالتزام بمواثيقهم ذكرهم في هذه الآية بما أخذ على بني إسرائيل من ميثاق فنقضوه فاستوجبوا خزي الدنيا وعذاب الآخرة ليكون هذا عبرة للمؤمنين حتى لا ينكثوا عهدهم ولا ينقضوا ميثاقهم كما هو إبطال لاستعظام من استعظم غدر اليهود وهمهم بقتل النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾ وهو قوله إني معكم الآتي، ﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً.[3]﴾ أي من كل قبيلة من قبائلهم الاثني عشرة قبيلة نقيباً يرعاهم ويفتش على أحوالهم كرئيس فيهم، وهم الذين بعثهم موسى عليه

(١) النقب والنُقب بفتح القاف وضمها: الطريق في الجبل، والنقيب: الأمين على القوم، وجمعه نقباء، وهو من ينقب عن أمور القوم ومصالحهم ليرعاها لهم، وقالوا: النقيب أكبر من العريف، وفي البخاري: «ارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم».

(٢) التعزير: التعظيم، والتوقير والنصرة والدفاع عن المعزّر. والتعزير في الشرع: الضرب دون الحدّ لردّ المخالف إلى الحق وسبيل الرشاد.

(٣) من بين النقباء الاثنى عشر: يوشع، وكالب، وهما رجلان صالحان، والباقون هلكوا فلا خير فيهم.

السلام إلى فلسطين ليتعرفوا على أحوال الكنعانيين[١] قبل قتالهم. وقال الله تعالى ﴿إني معكم﴾ وهذا بند الميثاق ﴿لئن أقمتم الصلاة﴾ أي وعزتي وجلالي ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي﴾ صدقتموهم فيما جاءوكم به ﴿وعزرتموهم﴾ بنصرتهم وتعظيمهم، ﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ أي زيادة على الزكاة الواجبة والعامة في الإنفاق وفي تزكية النفس بالإيمان وصالح الأعمال ﴿لأكفرن عنكم سيئاتكم[٢]﴾ بإذهاب آثارها من نفوسكم حتى تطيب وتطهر ﴿ولأدخلنكم﴾ بعد ذلك التطهير ﴿جنات تجري من تحتها﴾ أي من تحت أشجارها وقصورها ﴿الأنهار﴾ هذا جزاء الوفاء بالميثاق ﴿فمن كفر﴾ فنقض وأهمل ما فيه فكفر بعده ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أي أخطأ طريق الفلاح في الدنيا والآخرة، أي خرج عن الطريق المفضي بسالكه إلى النجاة والسعادة.

هداية الآيـة

من هداية الآية

١ـ الحث على الوفاء بالالتزامات الشرعية.

٢ـ إبطال استغراب واستعظام من يستغرب من اليهود مكرهم ونقضهم وخبثهم ويستعظم ذلك منهم.

٣ـ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإنفاق في سبيل الله تعبد الله بها[٣] من قبل هذه الأمة.

٤ـ وجوب تعظيم[٤] الرسول ﷺ ونصرته في أمته ودينه.

---

(١) في الآية دليل على قبول خبر الواحد فيما يحتاج إليه من الاطلاع على حاجة من الحاجات الدينية والدنيوية، وفيها دليل على اتخاذ العَين: أي الجاسوس، وقد بعث رسول الله ﷺ بسبسبة عينا في غزوة بدر بعثه لتقصي أخبار أبي سفيان. رواه مسلم.

(٢) هذا جواب القسم في قوله: ﴿لئن أقمتم الصلاة...﴾ الخ وأمّا قوله تعالى: ﴿إنّي معكم﴾ فهو اخبار بوعد الله تعالى لبني اسرائيل، وهي معيّة نصرة، وتأييد إن هم وفّوا لله بما أخذ عليهم من عهد وميثاق وجملة: ﴿لئن أقمتم﴾ جملة مستأنفة، ولا علاقة لها بجملة الوعد: ﴿إني معكم﴾.

(٣) ليس هذا من خصائص أمة الإسلام لأنّ هذه العبادات شرعت لإسعاد، وإكمال الإنسان فلذا هي مشروعة لكل الأمم، لتوقف الكمال والسعادة على مثلها من مزكيات النفوس ومهذبات الأخلاق.

(٤) لأنّ مقام الرسل شريف، وكيف وهم رسل الله تعالى، ثمّ لولا وجوب ذلك لهم مع وجوب محبّتهم لما أطاعهم مَنْ بعثوا فيهم، وأرسلوا إليهم.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

نقض الميثاق : حله بعدم الالتزام بما تضمنه من أمر ونهي.

لعنّاهم : طردناهم من موجبات الرحمة ومقتضيات العز والكمال.

يحرفون الكلم : يبدلون الكلام ويؤولون معانيه لأغراض فاسدة، والكلم من الكلام.

ونسو حظاً مما ذكروا : تركوا قسطاً كبيراً مما ذكرهم الله تعالى به أي أمرهم به في كتابهم.

خائنة : خيانة أو طائفة خائنة منهم.

فاعف عنهم واصفح : أي لا تؤاخذهم واصرف وجهك عنهم محسناً إليهم بذلك.

إنا نصارى : أي ابتدعوا بدعة النصرانية فقالوا إنا نصارى.

أغرينا بينهم العداوة : الإغراء : التحريش والمراد أوجدنا لهم أسباب الفرقة والخلاف إلى يوم القيامة بتدبيرنا الخاص فهم أعداء لبعضهم البعض أبداً.

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في بيان خبث اليهود وغدرهم فقد أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة

(١٣) أن اليهود الذين أخذ الله ميثاقهم على عهد موسى عليه السلام بأن يعملوا بها في التوراة وأن يقابلوا الكنعانيين ويخرجوهم من أرض القدس وبعث منهم أثني عشر نقيباً قد نكثوا عهدهم ونقضوا ميثاقهم، وإنه لذلك لعنهم وجعل قلوبهم قاسية فهم يحرفون الكلم عن مواضعه فقال تعالى: ﴿فبما نقضهم[1]﴾ أي فبنقضهم ميثاقهم الذي أخذ عليهم بأن يعملوا بها في التوراة ويطيعوا رسولهم ﴿لعناهم﴾ أي أبعدناهم من دائرة الرحمة وأفناء الخير والسلام ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية[2]﴾ شديدة غليظة لا ترق لموعظة، ولا تلين لقبول هدى ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ فيقدمون ويأخرون ويحذفون بعض الكلام ويؤولون معانيه لتوافق أهواءهم، ومن ذلك تأويلهم الآيات الدالة على نبوة كل من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم في التوراة ﴿ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ وتركوا كثيراً مما أمروا به من الشرائع والأحكام معرضين عنها متناسين لها كأنهم لم يؤمروا بها، فهل يستغرب ممن كان هذا حالهم الغدر والنقض والخيانة، ولا تزال يا رسولنا ﴿تطلع على خائنة منهم[3]﴾ أي على طائفة خائنة منهم كخيانة بني النضير ﴿إلا قليلا منهم﴾ فإنهم لا يخونون كعبد الله بن سلام وغيره، وبناء على هذا ﴿فاعف عنهم[4]﴾ فلا تؤاخذهم بالقتل، ﴿واصفح﴾ عنهم فلا تتعرض لمكروههم فأحسن إليهم بذلك ﴿إن الله يحب المحسنين﴾.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٣) أما الآية الثانية (١٤) في هذا السياق فقد أخبر تعالى عن النصارى[5] وأن حالهم كحال اليهود لا تختلف كثيراً عنهم فقد أخذنا ميثاقهم على الإيمان بي وبرسلي وبالعمل بشرعي فتركوا متناسين كثيراً مما أخذ عليهم العهد والميثاق فيه، فكان أن أغرينا بينهم[6] العداوة والبغضاء كثمرة لنقضهم الميثاق فتعصبت كل طائفة لرأيها فثارت

---

(١) الميم في قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم﴾ زائدة لتقوية الكلام وتأكيده، ولفت النظر إليه ليتأمل وتفهم معانيه.

(٢) قرئت: (قسيّة) يقال عام قسيٌّ: أي شديد لا مطر فيه، فالمادة مأخوذة من الشدة والقساوة.

(٣) لفظ خائنة: صالح لأن يكون صفة لطائفة محذوفة، كما في التفسير، وجائز أن تكون خائنة بمعنى خيانة كقولهم في القيلولة قائلة، والخيانة هى المعصية يحدثونها كالكذب، والفجور، وأصل الخيانة: عدم الوفاء بالعهد.

(٤) هذا حمل له ﷺ على مكارم الأخلاق لأنّ أذاهم كان منصباً عليه ﷺ فأمره بعدم مقابلة الأذى بالأذى بل بالعفو والصفح ليعظم مقامه أمامهم ويكبر في أعينهم.

(٥) التعبير بلفظ النصارى فيه إشارتان مهمتان. الأولى: أنّ النصرانية بدعة ابتدعوها وليست مما شرع الله تعالى فهو ينفي عنهم ذلك، والثانية: بما أنهم راعوا في هذه البدعة نصرة الدين والحق وأهله أخذا من قول عيسى: ﴿مَنْ أنصاري إلى الله؟﴾ فقال الحواريون: ﴿نحن أنصار الله﴾ إذاً لمَ لا تنصرون الحق وهو الإسلام وأهله وهم المسلمون؟.

(٦) من الجائز أن يقال: أغرينا بينهم العداوة والبغضاء هو عائد على اليهود والنصارى لأنّ العداوة بينهم ثابتة إلاّ أنّ السياق هو في النصارى فطوائفهم متعددة ومتعادية متباغضة كما أخبر تعالى. والفرق بين العداوة والبغضاء أنّ العداوة من العدوان فقد ينتج عنها أذى بالضرب أو القتل. وأمّا البغضاء فهي من البغض القلبي فلا يتوقع من صحابها أذىً.

بينهم الخصومات وكثر الجدل فنشأ عن ذلك العداوات والبغضاء وستستمر إلى يوم القيامة، وسوف ينبئهم الله تعالى بما كانوا يصنعون من الباطل والشر والفساد ويجازيهم به الجزاء الموافق لخبث أرواحهم وسوء أعمالهم فإن ربك عزيز حكيم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ حرمة نقض المواثيق ونكث العهود ولا سيما ما كان بين العبد وربه.

٢ـ الخيانة وصف لازم لأكثر اليهود فقل من سلم منهم من هذا الوصف.

٣ـ استحباب العفو عند القدرة، وهو من خلال الصالحين.

٤ـ حال النصارى[1] لا تختلف كثيراً عن حال اليهود كأنهم شربوا من ماء واحد. وعليه فلا يستغرب منهم الشر ولا يؤمنون على سر فهم في عداوة الإسلام والحرب عليه متعاونون متواصون.

يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ

شرح الكلمات:

أهل الكتاب[2] : هنا هم اليهود والنصارى معاً.

---

(١) جائز أن يكون النصارى: جمع نصراني منسوب إلى النصر كماقالوا شعراني، ولحياني منسوبٌ إلى الشعر، واللّحية.

(٢) الكتاب اسم جنس يصدق على الواحد والاثنين والأكثر، والمراد بأهل الكتاب، اليهود والنصارى، ونداؤه لهم بعنوان الكتاب فيه معنى العيب عليهم سلوكهم الشائن وانحرافهم الخطير حيث بعدوا عن كلّ خير.

قد جاءكم رسولنا : محمد صلى الله عليه وسلم.

تخفون من الكتاب : الكتاب التوراة والإنجيل، وما يخفونه صفات النبي محمد ﷺ وبعض الأحكام، المخالفين لها يجحدونها خوف المعرة كالرجم مثلاً.

ويعفو[1] عن كثير : لا يذكرها لكم لعدم الفائدة من ذكرها.

نور وكتاب مبين : النور محمد ﷺ، والكتاب القرآن الكريم.

إلى صراط مستقيم : الإسلام وهو الدين الحق الذي لا نجاة إلا به. والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

معنى الآيتين :

ما زال السياق في أهل الكتاب فبعد أن بين تعالى باطلهم وما هم عليه من شر وسوء دعاهم وهو ربهم وأرحم بهم من أنفسهم إلى سبيل نجاتهم وكمالهم دعاهم إلى الإيمان برسوله وكتابه ذلك الرسول الذي ما اتبعه أحد وندم وخزى والكتاب الذي ما ائتم به أحد وضل أو شقي، فقال: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ أي محمد ﷺ ﴿يبين لكم﴾ بوحينا ﴿كثيراً﴾ من مسائل الشرع والدين التي تخفونها خشية الفضيحة لأنها حق جحدتموه وذلك كنعوت النبي الأمي وصفاته حتى لايؤمن به الناس، وكحكم الرجم في التوراة وما إلى ذلك. ﴿ويعفو﴾ يترك كثيراً لم يذكر لعدم الداعي إلى ذكره يا أهل الكتاب ﴿قد جاءكم من الله﴾ ربكم ﴿نور﴾ هو رسولنا محمد[2] ﷺ ﴿وكتاب مبين﴾ وهو القرآن إذ بين كل شيء من أمور الدين والدنيا وكل ما تتوقف سعادة الإنسان وكماله عليه دنيا وأخرى ﴿يهدي به الله﴾ تعالى ﴿من اتبع رضوانه﴾ وذلك بالرغبة الصادقة في الحصول على رضا الله عز وجل بواسطة فعل محابه وترك مساخطه عن كل معتقد وقول وعمل يهديه به ﴿سبل السلام﴾ أي طرق السعادة والكمال، ﴿ويخرجهم﴾ أي المتبعين رضوان الله ﴿من الظلمات﴾ وهي ظلمات الكفر والشرك والشك، إلى نور الإيمان الصحيح والعبادة الصحيحة المزكية للنفس المهذبة للشعور بتوفيقه وعونه تعالى ويهديهم أي أولئك الراغبين حقاً في رضا الله ﴿يهديهم الى صراط

---

(١) ﴿يعفو﴾ معناه يعرض ولا يظهر، يقال: عفا الرسم إذا لم يظهر فعفا عن كذا: أعرض عنه ولم يظهره.
(٢) واللفظ صالح لأن يكون المراد بالنور الإسلام، فالنبي ﷺ نور والإسلام نور إذ كل منهما يهدي إلى دار السلام في الآخرة وإلى الطهر والصفاء والسعادة والكمال في دار الدنيا.

مستقيم﴾ لا يضلون معه ولا يشقون أبداً وهو دينه الحق الإسلام الذي لا يقبل ديناً غيره،[1] والذي ما اهتدى من جانبه ولا سعد ولا كمل من تركه.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ نصح الله تعالى لأهل الكتاب بدعوتهم إلى سبل السلام بالدخول في الإسلام.

٢ـ بيان جحود اليهود والنصارى لكثير من الأحكام الشرعية ودلائل النبوة المحمدية مكراً وحسداً حتى لا يؤمن الناس بالإسلام ويدخلوا فيه.

٣ـ اتباع السنة المحمدية يهدي صاحبه الى سعادته وكماله.

٤ـ القرآن حجة على الناس كافة لبيانه الحق في كل شيء.

٥ـ طالب رضا الله[2] بصدق يفوز بكل خير وينجو من كل ضير.

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ
ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ
أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ

---

(١) شاهده قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.
(٢) لأنه يطلبه من طريق الإسلام، والإسلام قائد أهله إلى النجاة من كل مرهوب وإلى الفوز بكل محبوب مرغوب.

رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٩)

شـرح الكلـمات :

لقد كفر الذين	: لأنهم جحدوا الحق وقالوا كذباً الله هو المسيح بن مريم .
المسـيح	: لقب لعيسى بن مريم عبدالله ورسوله عليه السلام .
مريـم	: بنت عمران من صلحاء بني إسرائيل والدة عيسى عليه السلام .
يهلـك	: يميت ويبيد .
قـدير	: قادر على إيجاد وإعدام كل شيء أراد إيجاده أو إعدامه .
الأحبـاء	: واحده حبيب كما أن الأبناء واحده ابن .
على فترة	: الفترة زمن انقطاع الوحي لعدم إرسال الله تعالى رسولا .
بشير ونذير	: البشير: المبشر بالخير، والنذير: المنذر من الشر وهو رسول الله ﷺ يبشر المؤمنين وينذر الكافرين .

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن أهل الكتاب ففي الآية الأولى (١٧) أخبر تعالى مؤكداً الخبر بالقسم المحذوف الدالة عليه اللام الواقعة في جواب القسم فقال: ﴿لقد كفر[1] الذين قالوا ان الله هو[2] المسيح ابن مريم﴾ ووجه كفرهم أنهم جعلوا المخلوق المربوب هو الله الخالق الرب لكل شيء وهو كفر من أقبح أنواع الكفر، وهذا وإن لم يكن قول أكثر النصارى فإنهم بانتمائهم إلى النصرانية وقولهم بها وانخراطهم في سلك مبادئها وتعاليمها يؤاخذون به، لأن الرضا بالكفر كفر.

---

(١) المراد من ذكر هذا الخبر: ﴿لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح بن مريم﴾ هو بيان كفرهم بهذه المقالة، لا أنّه تقرير لضلالهم ونقضهم الميثاق.

(٢) هذا عائد إلى قول بعضهم : إن المسيح لاهوت ناسوت أي : إله وإنسان، وهو خلط وخبط لا نظير لهما، وأشهر طوائفهم وهم اليعقوبية والملكائية، والنسطورية ينكرون أن يكون الله هو المسيح، ولكن يقولون : إنّ عيسى ابن الله، وإنه إله وهو كذب صراح وكفر بواح.

وقوله تعالى: ﴿قل فمن[1] يملك من الله شيئاً﴾ يعلم رسوله كيف يحتج على أهل هذا الباطل فيقول له: قل لهم ﴿من يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه عليهما السلام ﴿ومن في الأرض جميعا﴾ والجواب قطعاً لا أحد، إذاً فكيف يكون عبدالله هو الله أو إلهاً مع الله؟ أليس هذا هو الضلال بعينه وذهاب العقول بكماله؟ ثم أخبر تعالى أنه له ﴿ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ خلقاً وتصرفاً، وأنه ﴿يخلق ما يشاء﴾ خلقه بلا حجر عليه ولا حظر وهو على كل شيء قدير خلق آدم من تراب بلا أب ولا أم، وخلق حواء من آدم، وخلق عيسى من مريم بلا أب، ويخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير فكون المسيح عليه السلام خلقه بكلمة كن بلا أب لا تستلزم عقلاً ولا شرعاً أن يكون هو الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة مع الله كما هي عقيدة أكثر النصارى، والعجب من إصرارهم على هذا الباطل، هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الآية الثانية (١٨) فقد تضمنت بيان ضلال اليهود والنصارى معاً وهو دعواهم أنهم ﴿أبناء الله[2] واحباؤه﴾ إذ قال تعالى عنهم ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن[3] ابناء الله وأحباؤه﴾ وهو تبجح وسفه وضلال فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم بقوله: قل لهم يا رسولنا ﴿فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ فهل الأب يعذب أبناءه والحبيب يعذب محبيه، وأنتم تقولون نعذب في النار أربعين يوماً بسبب خطيئة عبادة أسلافهم العجل أربعين يوماً كما جاء ذلك في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ والحقيقة أن هذا القول منكم من جملة الترهات والأباطيل التي تعيشون عليها، وأما أنتم فإنكم بشر ممن خلق الله فنسبتكم إليه تعالى نسبة مخلوق إلى خالق وعبد إلى مالك من آمن منكم وعمل صالحاً غفر له وأكرمه، ومن كفر منكم وعمل سوءً عذبه كما هي سنته في سائر عباده، ولا اعتراض عليه فإن له ملك السموات والأرض وما بينهما وأنتم من جملة مملوكيه، واليه المصير فسوف ترجعون إليه ويجزيكم بوصفكم إنه حكيم عليم.

هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (١٩) فقد تضمنت إقامة الحجة على أهل

---

(١) الفاء: للعطف على جملة محذوفة متضمنة كذبهم في قولهم، والتقدير: قل كذبتم فمن يملك... الخ.

(٢) التعبير بالأبوة والبنوة المنسوبة إلى الله تعالى تفيض بها التوراة والانجيل وهو من التحريف الذي حصل لكتابيهم، وأمّا قول من قال: هذه الأبوة والبنوة كانت تعني التشريف فاغتر بها المتأخرون واعتقدوا حقيقتها، هذا القول فيه مجازفة لا تقبل.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما خوّف رسول الله ﷺ قوماً من اليهود بالعقاب فقالوا: لا نخاف فإننا أبناء الله وأحبّاؤه فنزلت هذه الآية.

الكتاب فقد ناداهم الرب تبارك وتعالى بقوله يا أهل الكتاب وأعلمهم أنه قد جاءهم رسوله محمد ﷺ يبين لهم الطريق المنجي والمسعد في وقت واحد على حين فترة[1] من الرسل إذ انقطع الوحي منذ رفع عيسى إلى السماء وقد مضى على ذلك قرابة خمسمائة وسبعين سنة أرسلنا رسولنا إليكم حتى لا تقولوا معتذرين عن شرككم وكفركم وشركم وفسادكم: ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾[2] فها هو ذا البشير محمد ﷺ[3] قد جاءكم[4] فآمنوا به واتبعوه تنجوا وتسعدوا، وإلا فالعذاب لازم لكم والله على تعذيبكم قدير كما هو على كل شيء قدير.

هدايـــة الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ كفر من ينسب إلى الله تعالى ما هو منزه عنه من سائر النقائص.

٢ـ بطلان دعوى اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه بالدليل العقلي.

٣ـ نسبة المخلوقات لله تعالى لا تتجاوز كونها مخلوقة له مملوكة يتصرف فيها كما شاء ويحكم فيها بما يريد.

٤ـ قطع عذر أهل الكتاب بإرسال الرسول محمد ﷺ على حين فترة من الرسل.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ

---

(١) الفترة مشتقة من فتر عن عمله يفتر فتوراً إذا سكن، والأصل فيها الانقطاع عمّا كان عليه من الجد في العمل، والمراد بها في الشرع: هي انقطاع ما بين الرسولين.

(٢) ﴿من بشير ولا نذير﴾ من زائدة، وزيادتها لغرض المبالغة في نفي المجيء، وتنكير بشير ونذير للتقليل أي: ما جاءنا أقل بشير وأقلّ نذير.

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن معاذ بن جبل، وسعد بن عبادة، وعقبة بن وهب قالوا لليهود: يا معشر يهود اتقوا الله فإنكم والله لتعلمون أن محمداً رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه بصفته فقالوا: ما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بعد من بشير ولا نذير فنزلت هذه الآية.

(٤) قوله تعالى: ﴿فقد جاءكم بشير...﴾ الآية الفاء هي الفاء الفصيحة، فقد أفصحت عن محذوف ما بعدها يكون علّة له، وتقديره هنا: لا تعتذروا فقد جاءكم... الخ.

فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

نعمة الله عليكم[1] : منها نجاتهم من فرعون وملائه.

إذ جعل فيكم أنبياء[2] : منهم موسى وهرون عليهما السلام.

وجعلكم ملوكاً : أي مالكين أمر أنفسكم بعد الاستعباد الفرعوني لكم.

العالميـن : المعاصرين لهم والسابقين لهم.

المقدسة التي كتب : المطهرة التي فرض الله عليكم دخولها والسكن فيها بعد طرد الكفار منها.

ولا ترتدوا على أدباركم : أي ترجعوا منهزمين إلى الوراء.

قوماً جبارين : عظام الأجسام أقوياء الأبدان يجبرون على طاعتهم من شاءوا.

يخافـون : مخالفة أمر الله تعالى ومعصية رسوله.

أنعم الله عليهما : أي بنعمة العصمة حيث لم يفشوا سر ما شاهدوه لما دخلوا أرض الجبارين لكشف أحوال العدو بها، وهما يوشع وكالب من النقباء الاثني عشر.

معنى الآيـات :

مازال السياق مع أهل الكتاب وهو هنا في اليهود خاصة إذ قال الله تعالى لرسوله محمد

---

(١) النعمة: اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد كقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ فهو دال على العدد الذي لا يحصى.

(٢) أنبياء: جمع نبي ولم يصرف لأنّ فيه ألف التأنيث الممدودة.

ﷺ واذكـر[1] ﴿إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء﴾ كموسى وهرون عليهما السلام ﴿وجعلكم ملوكاً[2]﴾ تملكون أنفسكم لا سلطان لأمة عليكم إلا سلطان ربكم عز وجل[3] ﴿ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾ للسَّكَن فيهـا والاستقـرار بها فافتحـوا باب المدينة وباغتوا العدو فإنكم تغلبون ﴿ولا ترتدوا على أدباركم﴾ أي ولا ترجعوا إلى الوراء منهزمين فتنقلبوا بذلك خاسرين، لا أمر الله بالجهاد أطعتم، ولا المـدينـة المقـدسـة دخلتم وسكنتم، واسمـع يا رسـولنا جواب القوم ليزول استعظامك بكفرهم بك وهمهم بقتلك، ولتعلم أنهم قوم بهت سفلة لا خير فيهم، إذ قالوا في جوابهم لنبيهم موسى عليه السلام: ﴿يا موسى إن فيها قوماً جبارين[4] وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾!! وكان سبب هذه الهزيمة الروحية ما أذاعه النقباء من أخبار مهيلة مخيفة تصف العمالقة الكنعانيين بصفات لا تكاد تتصور في العقول اللهم إلا اثنين منهم وهما يوشع بن نون، وكالب بن يوحنا وهما اللذان قال تعالى عنهما: ﴿قال رجلان من الذين يخافون﴾ أي أمر الله تعالى ﴿أنعم الله عليهما﴾ فعصمهما من إفشاء سر ما رأو من قوة الكنعانيين إلا لموسى عليه السلام قالا للقوم ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ أي باب المـدينـة ﴿فـإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ وذلك لعنصر المباغتة وهو عنصر مهم في الحروب، ﴿وعلى الله فتوكلوا﴾ وهاجموا القوم واقتحموا عليهم المدينة ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بما أوجب الله عليكم من جهاد وكتب لكم من الاستقرار بهذه البلاد والعيش بها، لأنها أرض[5] القدس والطهر. هذا ما تضمنته الآيات الأربع، وسنسمع رد اليهود على الرجلين في الآيات التالية.

---

(١) في هذه الآيات تسلية لرسول الله ﷺ عما يلاقي من عنت وعناد يهود المدينة لذا أعلمه بما لاقى موسى منهم من غلظة وجفاء وتعنت وعناد.

(٢) روي عن الحسن وزيد بن أسلم: أن من كانت له دار وزوجة وخادم فهو ملك، وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص كما في صحيح مسلم: إذ سأله رجل قائلا: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبدالله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال نعم، قال ألك منزل تسكنه؟ قال نعم قال: فأنت من الأغنياء قال: فإنَّ لي خادماً قال: فأنت ملك.

(٣) سقطت هذه الآية من التفسير: ﴿وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾ وهو قول موسى لقومه، وما آتاهم منه: المنّ والسلوى والغمام وكون الأنبياء في بني اسرائيل في هذا المذكور تبدو الخصوصية المذكورة في قوله: ﴿ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾.

(٤) ﴿جبّارين﴾: أي عظام الأجسام طوالها والجبّار من الناس: المتعظم الممتنع من الذل والفقر أو هو من يجبر الناس على مراده لقوته عليهم وقهره لهم، وذكر القرطبي هنا حديثا مسهبا عن عوج بن عناق وهو حديث خرافة لما فيه من التهاويل الباطلة.

(٥) هي أرض فلسطين الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط وبين نهر الأردن والبحر الميت، فتنتهي إلى حماة شمالا وغزة وحرون جنوبا (نقلا عن التنوير).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تسلية الرسول ﷺ بإعلامه تعالى بخبث اليهود وشدة ضعفهم ومرض قلوبهم.

٢ـ فضح اليهود بكشف الآيات عن مخازيهم مع أنبيائهم.

٣ـ بيان الأثر السيء الذي تركه إذاعة النقباء للأخبار الكاذبة المهولة، وقد استعملت ألمانيا النازية هذا الأسلوب ونجحت نجاحاً كبيراً حيث اجتاحت نصف أوربا في مدة قصيرة جداً.

٤ـ بيان سنة الله تعالى من أنه لا يخلو زمان ولا مكان من عبد صالح تقوم به الحجة على الناس.

٥ـ فائدة عنصر المباغتة في الحرب وأنه عنصر فعال في كسب الانتصار.

قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

لن ندخلها : أي المدينة[1] التي أمروا بمهاجمة أهلها والدخول عليهم فيها.

الفاسقين : أي عن أمر الله ورسوله بتركهم الجهاد جبناً وخوفاً.

محرمة عليهم : أي تحريماً كونيا قضائياً لا شرعياً تعبدياً.

يتيهون في الأرض : أي في أرض سينا متحيرين فيها لا يدرون أين يذهبون مدة أربعين سنة.

فلا تأس : أي لا تحزن ولا تأسف.

---

(١) إليا أو أريحا لاتعدو واحدة منهما عند أكثر المفسرين والمؤرخين.

معنى الآيات :

هذا هو جواب القوم على طلب الرجلين الصالحين باقتحام المدينة على العدو، إذ قالوا بكل وقاحة ودناء وخسة: ﴿يا موسى إنا لن ندخلها. .﴾ أي المدينة ﴿. . . أبداً ما داموا فيهـا . .﴾ أي ما دام أهلها فيها يدافعون عنها ولو لم يدافعوا،[1] ﴿. . فاذهب أنت[2] وربك فقاتلا . .﴾ أهل المدينة أما نحن فهاهنا قاعدون. أي تمرد وعصيان أكثر من هذا؟ وأي جبن وخـور أعـظم من هذا؟ وأي سوء أدب أحط من هذا؟ وهنا قال موسى متبرئاً من القوم الفاسقين: رب أي يا رب ﴿إني لا أملك[3] إلا نفسي وأخي . .﴾ يريد هارون ﴿. . فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ فطلب بهذا البراءة منهم[4] ومن صنيعهم، إذ قد استوجبوا العذاب قطعاً، فأجابه ربه تعالى بقوله في الآية الثالثة (٢٦) ﴿فإنها محرمة عليهم. .﴾ أي الأرض المقدسة أربعين سنة لا يدخلونها وفعلاً ما دخلوها إلا بعد مضي الفترة المذكورة (أربعين سنة) وكيف كانوا فيها؟ يتيهون[5] في أرض سينا متحيرين في سيرهم لا يدرون أين يذهبون ولا من أين يأتون، وعليه فلا تحزن يا رسولنا ولا تأسف على القوم الفاسقين إذ هذا جزاؤهم من العذاب عُـجِّـل لهم فليذوقوه!!.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان جبن اليهود، وسوء أدبهم مع ربهم وأنبيائهم.

٢ـ وجوب البراءة من أهل الفسق ببغض عملهم وتركهم لنقمة الله تعالى تنزل بهم.

٣ـ حرمة الحزن والتأسف على الفاسقين والظالمين إذا حلت بهم العقوبة الإلهية جزاء فسقهم وظلمهم لأنفسهم ولغيرهم.

---

(١) هذا الجبن والخور الذي أصاب القوم سببه: ما أذاعه النقباء فيهم ما عدا يوشع وكالب من أنّ العمالقة قوم جبّارون أجسامهم كذا وكذا في طولها وعرضها وقوتهم كذا وكذا. . .

(٢) هذه العبارة تدّل على جهل القوم بالله تعالى وبما يجب له من التعظيم والوقار وهي كلمة كفر إن لم يعُذر صاحبها بجهل بالله تعالى وصفاته.

(٣) ليس معنى الملك أنّه يملكه كعبد لا! إنه أخوه فكيف يملكه وإنّما مراده: إني لا أملك إلاّ نفسي وأخي لا يملك إلاّ نفسـه أيضاً لا قدرة لي ولا له على بني اسرائيل.

(٤) أراد مفاصلتهم لما ظهر منهم من التمرّد، والعصيان والبعد عنهم حتى لا يصيبهما ما يصيبهم من العقاب.

(٥) التيه في اللغة: الحيرة يقال: تاه يتيه تيها: إذا تحيّر، والأرض التيهاء: التي لا يهتدي فيها وتاه المرء في الأرض ذهب فيها متحيّراً لا يدري أين يذهب أو يجيء.

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ
لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى
سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا
ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

واتل عليهم : وأقرأ على اليهود الذين هموا بقتلك وقتل أصحابك .

نبأ ابني آدم : خبر ابني آدم هابيل وقابيل .

قرباناً : القربان ما يتقرب[1] به الى الله تعالى كالصلاة والصدقات .

بسطت إلي يدك : مددت إلَيّ يدك .

أن تبوء بإثمي وإثمك : ترجع إلى الله يوم القيامة بإثم قتلك إياي ، وإثمك في معاصيك .

فطوعت له نفسه : شجعته على القتل وزينته له حتى فعله .

غراباً : طائراً أسود معروف يضرب به المثل فى السواد.[2]

---

(١) قيل كان قربان قابيل حزمة من سنبل لأنه صاحب زرع واختارها من أردأ زرعه حيث إنّه وجد فيها سنبلة طيبة ففركها وأكلها، وأمّا قربان هابيل فكان كبشاً لأنه صاحب غنم واختاره من أجود غنمه .

(٢) يقال: أسود غريب وقال الشاعر: حتى إذا شاب الغراب أتيت أهلي .

يواري سوءة أخيه : يستر بالتراب جسد أخيه، وقيل فيه سوءة، لأن النظر إلى الميت تكرهه النفوس، والسوءة: ما يكره النظر إليها.

معنى الآيات :

مازال السياق القراني الكريم في الحديث عن يهود بني النضير الذين هموا بقتل النبي ﷺ وأصحابه فالله تعالى يقول لرسوله واقرأ عليهم قصة ابني آدم هابيل وقابيل ليعلموا بذلك عاقبة جريمة القتل الذي هموا به، توبيخاً لهم، وإظهاراً لموقفك الشريف منهم حيث عفوت عنهم فلم تقتلهم بعد تمكنك منهم، وكنت معهم كخير ابني آدم، ﴿.. إذ قربا قرباناً..﴾[1]، أي قرب كل منهما قرباناً لله تعالى فتقبل الله قربان[2] أحدهما لأنه كان من أحسن ماله وكانت نفسه به طيبة، ﴿ولم يتقبل من الآخر﴾ وهو قابيل لأنه كان من أردأ ماله، ونفسه به متعلقة، فقال لأخيه هابيل لأقتلنك حسداً له ـ كما حسدتك اليهود وحسدوا قومك في نبوتك ورسالتك ـ فقال له أخوه إن عدم قبول قربانك عائدٌ إلى نفسك لا إلى غيرك إنما يتقبل الله من المتقين[3] للشرك فلو اتقيت الشرك لتقبل منك قربانك لأن الله تعالى لا يتقبل إلا ما كان خالصاً له، وأنت أشركت نفسك وهواك في قربانك، فلم يتقبل منك. ووالله قسماً به ﴿لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾، وعلل ذلك بقوله: ﴿.. إني أخاف الله رب العالمين﴾، أي أن ألقاه بدم أرقته ظلماً. وان أبيت إلا قتلي فإني لا أقتلك لأني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أي ترجع إلى ربنا يوم القيامة بإثم قتلك إياي، وإثمك الذي قارفته في حياتك كلها، فتكون بسبب ذلك من أصحاب النار الخالدين فيها الذين لا يفارقونها أبداً قال تعالى ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾، ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ أي شجعته عليه وزينته له فقتله ﴿فأصبح من الخاسرين[4]﴾ النادمين لأنه لم يدر ما يصنع به

---

(١) القربان: اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد، إذ لكلٍّ منهما قربان وليس قربانا واحداً اشتركا فيه.

(٢) إن قيل كيف عرف القبول من عدمه؟ فالجواب: إنّ سنّة الله تعالى فيمن سبق أنّ من قرّب لله تعالى قربانا فقبله أرسل عليه ناراً من السماء فأحرقته ومن لم يتقبله لم يفعل به ذلك، ويشهد له حديث الصحيح في غنائم بني اسرائيل إذ كانت محرّمة عليهم ولم تحل إلاّ لأمة الإسلام، إذ أخبر النبي ﷺ أنّ ناراً تنزل من السماء على الغنائم فتحرقها.

(٣) فيه دلالة على أن قابيل لم يكن تقياً، وقابيل في لغة بني اسرائيل بالنون: قابين وكذا هابيل وقوله: ﴿إنّما يتقبل الله..﴾ الخ مسبوق بكلام دلّ عليه السياق وهو مثل قوله: لم تقتلني وأنا لم أجن شيئا ولا ذنب لي في قبول الله قرباني وكونه تقبل مني لا يستوجب قتلي إنّما يتقبل الله من المتقين.

(٤) لما كان أول من سن القتل فإنه لا تقتل نفس ظلماً إلاّ وعليه كفل منها لقوله ﷺ «لا تقتل نفس ظُلماً إلاّ كان على ابن آدم كفل من دمها لأنه أول من سن القتل» وفي الحديث الآخر: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

فكان يحمله على عاتقه ويمشي به حتى عفن، وعندئذ بعث الله غراباً يبحث في الأرض أي ينبش الأرض برجليه ومنقاره وينشر التراب على ميت معه حتى واراه: أي بعث الله الغراب ليريه كيف يواري أي يستر سوءة أخيه أي جيفته، فلما رأى قابيل ما صنع الغراب بأخيه الغراب الميت قال متندماً متحسراً يا ويلتا أي يا ويلتي احضري فهذا أوان حضورك، ثم وبخ نفسه قائلاً: ﴿أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي﴾، كما وارى الغراب سوءة أخيه، وأصبح من النادمين على حمله أو على قتله وعدم دفنه ومجرد الندم لا يكون توبة مع أن توبة القاتل عمداً لا تنجيه من النار.

هـداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ مشروعية التقرب الى الله تعالى بما يحب أن يتقرب به إليه تعالى.

٢ـ عظم جريمة الحسد وما يترتب عليها من الآثار السيئة.

٣ـ قبول الأعمال الصالحة يتوقف على الإخلاص فيها لله تعالى.

٤ـ بيان أول من سن جريمة القتل وهو قابيل ولذا ورد: ما من نفس تقتل نفساً ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل «نصيب» ذلك بأنه أول من سن القتل.

٥ـ مشروعية الدفن[١] وبيان زمنه.

٦ـ خير ابني آدم المقتول ظلمًا وشرهما القاتل ظلمًا.[٢]

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ

---

(١) يستحب توسعة القبر لقوله ﷺ: «احفروا وأوسعوا وأحسنوا اللحد» واللّحد أفضل من الشق لقوله ﷺ: «اللحد لنا والشق لغيرنا» ويستحب لمن يضع الميت في قبره أن يقول بسم الله وعلى ملة رسول الله لمن حضر الدفن أن يحثو على القبر من قبل رأسه ثلاثاً.

(٢) وإن قيل ما تصنع بحديث الصحيح: «إذا التلقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار»؟ قلت: هذا الحديث فيمن يقاتل في غير حق استوجب القتل والقتال، أمّا من ظُلم فدافع عن نفسه فقُتل فهو شهيد بنص الحديث الصحيح، وكذا من بغى على المسلمين فقتاله واجب ومن قاتله فهو مجاهد ومن قتل فهو شهيد.

جَمِيعًاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

من أجل ذلك[1] : أي بسبب ذلك القتل

كتبنا : أوحينا.

أو فساد في الأرض : بحربه لله ورسوله والمؤمنين.

ومن أحياها : قدر على قتلها وهي مستوجبة له فتركها.

بالبينات : الآيات الواضحات حاملة للشرائع والدلائل.

لمسرفون : مكثرون من المعاصي والذنوب.

معنى الآية الكريمة :

يقول تعالى: إنه من أجل قبح جريمة القتل وما يترتب عليها من مفاسد ومضار لا يقادر قدرها أوجبنا على بني إسرائيل لكثرة ما شاع بينهم من القتل وسفك الدماء فقد قتلوا الأنبياء والآمرين بالقسط من الناس لأجل هذه الضراوة على القتل فقد قتلوا رسولين زكريا ويحيى وهموا بقتل كل من المرسلين العظيمين عيسى ومحمد ﷺ من أجل ذلك[2] شددنا عليهم في العقوبة إذ من قتل منهم نفساً بغير نفس أي ظلماً وعدواناً، أو قتلها بغير فساد قامت به في الأرض وهو حرب الله ورسوله والمؤمنين فكأنما قتل الناس جميعاً بمعنى يعذب عذاب قتل الناس جميعاً يوم القيامة ومن أحياها بأن استوجبت القتل فعفا عنها وتركها لله إبقاء عليها فكأنما أحيا الناس[3] جميعاً يعني يُعطى أجر من أحيا الناس[4] جميعاً كل هذا شرعه الله تعالى لهم تنفيراً

---

(١) قوله: ﴿من أجل ذلك﴾ تعليل لقوله ﴿كتبنا﴾ ومن ابتدائية، والأجل: الجراء والسبب وهو مصدر أجل يأجل ويأجل بمعنى: جنى واكتسب فلذا هو يقال في الخير كما يقال في الشرّ تقول: أكرمته لأجل علمه، كما تقول: أهنته لأجل فسقه. أمّا الجراء في قولك فعلت كذا من جراء كذا فهو مأخوذ من جرّ إذا سبب تقول: فعلي كذا جرّ لي كذا أي سببه.

(٢) خصّ بني اسرائيل بهذا دون من سبقهم من الأمم تغليظاً عليهم لجرئتهم على القتل علّهم يكفّون من سفك الدماء، إذ قتلوا حتى الأنبياء والآمرين بالقسط من الناس.

(٣) كأنّ: للتشبيه ومن هنا يكون معنى الكلام كتبنا مشابهة قتل نفس بغير نفس.. الخ بقتل الناس اجمعين أي في عظم الجرم، ومشابهة من أحيى الناس جميعا في عظم الأجر.

(٤) من أحياها: معناه من استنقذها من الموت بأن عفا عنها بعد تعيّن القصاص عليها أو دافع عنها حتى أنقذها ممن أراد قتلها لأنّ الإحياء بعد الموت ليس في مقدور الإنسان وإنّما قد يهمّ المرء بالقتل ويعفو فيكون كمن أحياها.

لهم من القتل الذي أصروا عليه، وترغيباً لهم في العفو الذي جافوه وبعدوا عنه فلم يعرفوه وقوله تعالى: ﴿ولقد جاءتهم[1] رسلهم بالبينات﴾ يخبر تعالى عن حالهم مسلياً رسوله محمداً عما يحمله من همّ منهم وهم الذين تآمروا على قتله أن الشر الذي لازم اليهود والفساد الذي أصبح وصفاً لازماً لهم وخاصة المؤامرات بالقتل وإيقاد نار الحروب لم يكن عن جهل وعدم معرفة منهم لا أبداً بل جاءتهم رسلهم بالآيات البينات والشرائع القويمة والآداب الرفيعة ولكنهم قوم بهت متمردون على الشرائع مسرفون في الشر والفساد ولذا فإن كثيراً منهم والله لمسرفون في الشر والفساد، وبنهاية هذه الآية ومن قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم ان يبسطوا إليكم أيدهم..﴾ وهي الآية (١١) انتهى الحديث عن اليهود المتعلق بحادثة همهم بقتل الرسول ﷺ وأصحابه وقد ذكر تسلية لرسول الله وأصحابه، كما هو تسلية لكل مؤمن يتعرض لمكر اليهود عليهم لعائن الله.

هداية الآيــة

من هداية الآيــة:

١ـ تأديب الرب تعالى لبني إسرائيل ومع الأسف لم ينتفعوا به.

٢ـ فساد بني إسرائيل لم ينشأ عن الجهل وقلة العلم بل كان اتباعاً للأهواء وجريا وراء عارض الدنيا. فلذا غضب[2] الله عليهم ولعنهم لأنهم عالمون.

٣ـ بالرغم من تضعيف جزاء الجريمة على اليهود، ومضاعفة أجر الحسنة لهم فإنهم أكثر الناس اسرافاً في الشر والفساد في الأرض.

إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ

(١) هذه الجملة تذييل لما سبق من حكم الله تعالى فيهم حيث شرع لهم وأعلمهم بأنّ من يقتل نفساً ظلماً وعدواناً يعتبر شرعاً كأنما قتل الناس جميعا ذكر فيه أنّه لا عذر لهم فيما عوقبوا به إذ لم يكونوا جاهلين لمجيئهم رسلهم بالآيات البيّنات تحمل الشرائع والهدايات ومع هذا فإنّ كثيرا منهم مسرفون في المعاصي والجرائم العظام كالقتل في الأرض.

(٢) شاهده من القرآن: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ من الممتحنة. و﴿غير المغضوب عليهم﴾ من الفاتحة.

وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾

شـرح الكلـمات :

يحاربون الله ورسوله : بالخروج عن طاعتهما وحمل السلاح على المؤمنين وقتلهم وسلب أموالهم والاعتداء على حرماتهم.

ويسعون في الأرض فساداً : بإخافة الناس وقطع طرقهم وسلب أموالهم والاعتداء على أعراضهم.

أو يصلبــوا : يشدون على أعواد الخشب ويقتلون، أو بعد أن يقتلوا.

من خــلاف : بأن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، والعكس.

أو ينفوا من الأرض : أي من أرض الإسلام.

خزي في الدنيا : ذل ومهانــة.

عذاب عظيـم : عـذاب جهنـم.

أن تقدروا عليهم : أي تتمكنوا منهم بأن فروا بعيداً ثم جاءوا مسلمين.

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى ما أوجبه على اليهود من شدة العقوبة وعلى جريمة القتل والفساد في الأرض كسْراً لِحِدةِ جُرءتهم على القتل والفساد ذكر هنا حكم وجزاء من يحارب المسلمين ويسعى بالفساد في ديارهم فقال تعالى: ﴿إنما جزاء الذين[1] يحاربون الله ورسوله﴾ بالكفر[2] بعد الإيمان

(١) الجمهور على أنّ سبب نزول هذه الآية: ﴿إنما جزاء...﴾ الخ هو: العرنيون الذين نزلوا المدينة وادعوا أنهم اجتووها.. أي أمرضهم مُناخها ـ فأمر لهم الرسول ﷺ بلقاح وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها فخرجوا خارج المدينة، ولما شفوا وصحوا قتلوا الراعي ومثّلوا به وذهبوا بالإبل فلحقتهم خيل المسلمين فردّتهم ونزلت هذه الآية ببيان حكم الله فيهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فبقي هذا تشريعاً يطبّق على مثلهم إلى يوم القيامة.

(٢) لأن العرنيين وكانوا سبعة ثلاثة من عُكل وأربعة من عرينة كفروا بعد إيمانهم الذي أظهروا بالمدينه ثمّ ادعوا أنهم استوخموا المدينة فساعدهم الرسول ﷺ رحمة منه بما يشفيهم فلمّا شفوا وصحوا كفروا وقتلوا الراعي وساقوا الإبل، والآية عامة في المرتد وغيره والحكم ما بيّن الله تعالى فى هذه الآية لا غيره وصيغة الحصر في إنما ظاهرة.

والقتل والسلب بعد الأمان، ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ بتخويف المسلمين، وقطع طرقهم وأخذ أموالهم، والاعتداء على حرماتهم وأعراضهم، هو ما أذكره لكم لا غيره فاعلموه أنه ﴿أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾ ومعنى يقتلوا: يقتلون واحداً بعد واحد نكاية لهم وإرهاباً وتعزيراً لغيرهم، ومعنى يصلبوا بعد ما يقتل الواحد منهم يشد على خشبة مدة ثلاثة أيام ومعنى ينفوا من الأرض يخرجوا من دار الإسلام، أو الى مكان ناءٍ كجزيرة في بحر أو يحبسوا حتى ينجو المسلمون من شرهم وأذاهم، ويكون ذلك الجزاء المذكور خزياً وذلاً لهم[1] في الدنيا ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو عذاب النار، وقوله تعالى: ﴿إلا الذين تابو من قبل أن تقدروا عليهم﴾ فهذا استثناء متصل من أولئك المحاربين بأن من عجزنا عنه فلم نتمكن من القبض عليه، وبعد فترة جاءنا تائباً فإن حكمه يختلف عمن قبله، وقوله تعالى: ﴿فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ يحمل إشارة واضحة إلى تخفيف الحكم عليه، وذلك فإن كان كافراً وأسلم فإن الإسلام يجب ما قبله فيسقط عنه كل ما ذكر في الآية من عقوبات.. وإن كان مسلمًا فيسقط الصلب ويجب عليه، رد المال الذي أخذه إن بقي في يده، وإن قتل أو فجر وطالب بإقامة الحد عليه أقيم عليه الحد، وإلا ترك لله والله غفور رحيم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- بيان حكم الحرابة وحقيقتها[2]: خروج جماعة اثنان فأكثر ويكون بأيديها سلاح ولهم شوكة، خروجهم إلى الصحراء بعيداً عن المدن والقرى، يشنون هجمات على المسلمين فيقتلون ويسلبون ويعتدون على الأعراض، هذه هي الحرابة وأهلها يقال لهم المحاربون وحكمهم ما ذكر تعالى في الآية الأولى (٣٣).

---

(١) إن كان المحاربون مسلمين فالخزي لهم هو نزول العقوبة بهم في الدنيا من القتل والصلب والنفي وفي الآخرة ينجون من عذابها إن تابوا قبل موتهم، وإن كان المحاربون كافرين فالخزي عذاب الدنيا والعذاب العظيم لهم في الآخرة، وفرّقنا بين المسلمين والكافرين لأنّ المسلمين إقامة الحد عليهم يكفِّر ذنب الجريمة للحديث الصحيح في البيعة: «فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفّارة له ومن أصاب منها شيئا فستره الله فهو إلى الله إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له» فقوله: ﴿فهو كفارة له﴾ دليل على سقوط عذاب الآخرة بالحدّ.

(٢) الجمهور على أن اللّصّ كالمحارب يناشد بالله تعالى أن يكفّ وينصرف وإن أبي يقاتل ويقتل ومن قتله اللّصّ فهو في الجنة وإن قتل اللّصّ فهو في النار لحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قال: أرأيت يا رسول الله إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله. قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد. قال: فإن قتلته؟ قال: هو في النار».

٢ـ الإمام مخير في إنزال العقوبة التي يرى أنها مناسبة[١] لاستتباب الأمن، إن قلنا أو في الآية للتخيير، وإلا فمن قتل وأخذ المال وأخاف الناس قتل وصلب، ومن قتل ولم يأخذ مالاً قتل، ومن قتل وأخذ مالاً قطعت[٢] يده ورجله من خلاف فتقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ومن لم يقتل ولم يأخذ مالاً ينفى[٣].

٣ـ من تاب من المحاربين قبل التمكن منه يعفا عنه إلا أن يكون بيده مال سلبه فإنه يرده على ذويه أو يطلب بنفسه إقامة الحد عليه فيجاب لذلك.

٤ـ عظم عفو الله ورحمته بعباده لمغفرته لمن تاب ورحمته له.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات:

اتقوا الله : خافوا عذابه فامتثلوا أمره وأمر رسوله واجتنبوا نهيهما.

وابتغوا : إطلبوا.

(١) هذا مذهب الجمهور من الائمة، وهو أرفق وأصلح وأكثر تمثيلاً للآية وانسجاماً معها

(٢) مذهب الجمهور وهو الحق: لا تقطع يد المحارب إلاّ في مال تقطع فيه يد السارق وهو زنة ربع دينار ذهب فأكثر.

(٣) إن تعذّر النفي فالسجن يقوم مقامه إذ هو نفي من ظاهر الأرض إلى باطنها كما قال الشاعر:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا

إذا جاءنا السجّان يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

الوسيلة[1] : تقربوا إليه بفعل محابه وترك مساخطه تظفروا بالقرب[2] منه.

وجاهدوا في سبيله : أنفسكم بحملها على أن تتعلم وتعمل وتعلِم، وأَعْدَاءَهُ بدعوتهم إلى الإسلام وقتالهم على ذلك.

تُفْلِحُون : تنجون من النار وتدخلون الجنة.

عذاب مقيم : دائم لا يبرح ولا يزول.

معنى الآيتين :

ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين به وبرسوله ووعده ووعيده ليرشدهم إلى ما ينجيهم من العذاب فيجتنبوه، وإلى ما يدنيهم من الرحمة فيعملوه فيقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه[3] الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾ ومعنى اتقوا الله خافوا عذابه فأطيعوه بفعل أوامره وأوامر رسوله واجتناب نواهيها فإن عذاب الله لا يتقى إلا بالتقوى. ومعنى ﴿ابتغوا إليه الوسيلة﴾ اطلبوا إليه القربة، أي تقربوا إليه بفعل ما يحب وترك ما يكره تفوزوا بالقرب منه. ومعنى ﴿جاهدوا في سبيله﴾ جاهدوا أنفسكم في طاعته والشيطان في معصيته، والكفار في الإسلام إليه والدخول في دينه باذلين كل ما في وسعكم من جهد وطاقة. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٥) أما الآية الثانية (٣٦) وهي قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه.. الخ﴾ فإنها علة لما دعت إليه الآية الأولى من الأمر بالتقوى وطلب القرب من الله تعالى وذلك بالإيمان وصالح الأعمال، لأن العذاب الذي أمروا باتقائه بالتقوى عذاب لا يطاق أبداً ناهيكم أن الذين كفروا ﴿لو أن لهم ما في الأرض[4] جميعاً﴾ من مال صامت وناطق ﴿ومثله معه﴾ وقبل منهم

(١) الوسيلة لغة: القربة والجمع قُرَب، وهي فعيلة بمعنى مفعولة أي متقرَّب بها، من توسل إلى فلان: تقرّب إليه بكذا، وشاهده من قول العرب قول عنترة:

إنّ الرجال لهم إليك وسيلة   أن يأخذوك تكحلي وتخضبي

والوسيلة تجمع على وسائل، ومنه قول القائل:

إذا غفل الواشون عُدنا لوصلنا   وعاد التصافي بيننا والوسائل

(٢) فكلّ قربة هي وسيلة تقرّب من رضا الله والزلفى إليه، وعليه فكلّ الأعمال الصالحة هي وسيلة، وفي الحديث الصحيح: «ما تقرّب إليّ عبد بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه».

(٣) تقديم الجار والمجرور على المفعول المطلوب في قوله تعالى: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة) مؤذن بتوحيد الله تعالى بالعبادات التي يتقرّب بها إليه فلا يصح صرف شيء منها إلى غيره مهما كان.

(٤) أي لو ثبت لهم ما في الأرض ومثله معه أيضاً لأجل الافتداء به لا لأجل أن يكنزوه أو ينفقوه في وجوه الإنفاق المحبوبة لهم، لافتدوا به، ولكن أنى يكون لهم ذلك.

فداء لأنفسهم من ذلك العذاب لقدموه سخية به نفوسهم، إنه عذاب أليم موجع أشد الوجع ومؤلم أشد الألم إنهم يتمنون بكل قلوبهم أن يخرجوا من النار ﴿وما هم[1] بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾ دائم لا يبرح ولا يزول.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب تقوى الله عز وجل وطلب القربة إليه والجهاد في سبيله.

٢ـ مشروعية التوسل إلى الله تعالى بالإيمان[2] وصالح الأعمال.

٣ـ عظم عذاب يوم القيامة وشدته غير المتناهية.

٤ـ لا فدية يوم القيامة ولا شفاعة تنفع الكافر فيخرج بها من النار.

٥ـ حسن التعليل للأمر والنهي بما يشجع على الامتثال والترك.

وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات:

السارق : الذي أخذ مالاً من حرز خفية يقدر بربع دينار فأكثر.

السارقة : التي أخذت مالاً من حرز خفية يقدر بربع دينار فأكثر.

---

(١) ذكر القرطبي أن يزيد الفقير قال: قيل لجابر بن عبدالله رضي الله عنهما إنكم يا أصحاب محمد تقولون إن قوماً يخرجون من النار، والله تعالى يقول: ﴿وما هم بخارجين منها﴾ فقال جابر: إنكم تجعلون العامّ خاصاً والخاص عاما إنما هذه في الكفار خاصة فقرأت الآية كلها من أولها إلى آخرها فإذا هي في الكفار خاصة.

(٢) لذا وجب معرفة محابّ الله تعالى ومكارهه من الاعتقادات، والأقوال، والأعمال والصفات ليتوسل بها إلى الله تعالى فعلا وتركا للحصول على رضاه والفوز بالجنة والنجاة من النار.

فاقطعوا أيديهما : أي اقطعوا من سرق منهما يده من الكوع.

نكـــالاً : عقوبة من[1] الله تجعل غيره ينكل أن يسرق.

عـزيز حكيـم : عزيز: غالب لا يحال بينه وبين مراده، حكيم: في تدبيره وقضائه.

بعـد ظلمـه : بعد ظلمه لنفسه بمعصية الله تعالى بأخذ أموال الناس.

وأصلـــح : أي نفسه بتزكيتها بالتوبة والعمل الصالح.

فإن الله يتوب عليه : أي يقبل توبته، ويغفر له ويرحمه إن شاء.

له ملك السموات والأرض : خلقاً وملكاً وتدبيراً.

يعذب من يشاء : أي تعذيبه لأنه مات عاصياً لأمره كافراً بحقه.

ويغفر لمن يشاء : ممن تاب من ذنبه وأناب إليه سبحانه وتعالى.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى مقرراً حكمًا من[2] أحكام شرعه وهو أن الذي يسرق مالاً يقدر بربع دينار فأكثر من حرز مثله[3] خفية وهو عاقل بالغ، ورفع إلى الحاكم، والسارقة كذلك فالحكم أن تقطع يد السارق اليمنى من الكـوع وكذا يد السارقة مجازاة لهما على ظلمهما بالاعتداء على أموال غيرهما، ﴿نكالاً من الله﴾ أي عقوبة من الله تعالى لهما تجعل غيرهما لا يقدم على أخذ أموال النـاس بطريق السرقـة المحرمة، ﴿والله عزيز حكيم﴾ غالب على أمره حكيم في قضائه وحكمه. هذا معنى قوله تعالى: ﴿والسارق[4] والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا[5]﴾ من الإثم ﴿نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٩) ﴿فمن تاب من بعد ظلمه﴾ أي تاب من السرقة بعد

---

(١) هل يكون غرم مع القطع؟ مالك يرى إن وجد المال عنده أخذ وإن كان موسراً أخذ من ماله وإن معسراً يكتفى بالقطع وهذا أرحم وأحكم، وتعلّق يد السارق في عنقه لحديث الترمذي وأبي داود والنسائي.

(٢) لمّا ذكر تعالى حكم المحاربين ذكر حكم السارق والسارقة وما ذكر بينهما من دعوة المؤمنين إلى التقوى والتقرّب إلى الله تعالى للحصول على رضاه هو من باب تنويع الأسلوب وتلوين الكلام إذهاباً للسآمة والملل عن القارىء والسامع.

(٣) السارق عند العرب: هو من جاء مستترا إلى حرز فأخذ منه ما ليس له، فإن أخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومنتهب فإن تمنّع بما أخذ فهو غاصب.

(٤) قرىء والسارق: بالنصب على تقدير: اقطعوا السارق والسارقة وقرىء بالرفع وهو أشهر والاعراب فيما فرض عليكم السارق والسارقة فاقطعوا وأحسن من أن يكون السارق والسارقة مبتدأ وجملة فاقطعوا الخبر.

(٥) أوّل سارق قطعت يده في الإسلام هو الخيار بن عدي بن نوفل بن عبدمناف وأوّل سارقة في الإسلام هي مرّة بنت سفيان المخزومية.

أن ظلم نفسه بذلك ﴿وأصلح﴾ نفسه بالتوبة ومن ذلك رد المال المسروق ﴿فإن الله يتوب عليه﴾ لأنه تعالى غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين، وقوله تعالى في الآية الثالثة (٤٠) ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ يخاطب تعالى رسوله وكل من هو أهل للتلقي والفهم من الله تعالى فيقول مقرراً المخاطب ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ والجواب بلى، وإذاً فالحكم له تعالى لا ينازع فيه فلذا هو يعذب ويقطع يد السارق والسارقة ويغفر لمن تاب من السرقة وأصلح. وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان حكم حد السرقة وهو قطع يد السارق والسارقة.[1]

٢- بيان أن التائب من السراق إذا أصلح يتوب الله عليه أي يقبل توبته.

٣- إذا لم يرفع السارق إلى الحاكم تصح توبته ولو لم تقطع يده، وإن رفع فلا توبة له إلا بالقطع فإذا قطعت يده خرج من ذنبه كأن لم يذنب.

٤- وجوب التسليم لقضاء الله تعالى والرضا بحكمه لأنه عزيز حكيم.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ

---

(١) الإجماع على أنّ الوالد لا تقطع يده إذا سرق مال ولده لقوله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك» واختلف في العكس، والراجح أنه لا قطع عليه، وهل تقطع اليد في السفر، وفي دار الحرب خلاف، مالك يرى إقامة الحدود في دار الحرب، واليد تقطع من الرسغ، والرجل من المفصل ولا قطع على الصبي والمجنون، والعبد إن سرق من مال سيّده، ولا السيّد من مال عبده.

وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي
ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾
سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ
فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن
يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ
ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ
وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

لا يحزنك : الحزن ألم نفس يسببه خوف فوات محبوب.

يسارعون في الكفر : بمعنى يسرعون فيه إذ ما خرجوا منه كلما سنحت فرصة للكفر أظهروه.

قالوا آمنا بأفواههم : هؤلاء هم المنافقون.

ومن الذين هادوا : أي اليهود.

سماعون للكذب : أي كثيرو الاستماع للكذب.

يحرفون الكلم : يبدلون الكلام ويغيرونه ليوافق أهواءهم.

إذا أوتيتم هذا : أي أعطيتم.

فتنته : أي ضلاله لما سبق له من موجبات الضلال

أن يطهر قلوبهم : من الكفر والنفاق.

خزي : ذل.

أكالون للسحت : كثيروا الأكل للحرام كالرشوة والربا.

أو أعرض عنهم : أي لا تحكم بينهم.

بالقسـط : أي بالعدل.

وما أولئك بالمؤمنين : أي صدقاً وحقاً وإن ادعوه نطقاً.

معنى الآيـات :

قولـه تعالى ﴿يا أيها الرسول[1] لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر..﴾ إلى قوله ﴿.. عذاب عظيم﴾ في نهاية الآية نزل تسلية لرسول الله ﷺ وتخفيفاً مما كان يجده ﷺ من ألم نفسي من جراء ما يسمع ويرى من المنافقين واليهود فناداه ربه تعالى بعنوان الرسالة التي كذب بها المنافقون واليهود معاً: ﴿يا أيها الرسول﴾ الحق، لينهاه عن الحزن الذي يضاعف ألمه: ﴿لا يحزنك﴾ حال الذين ﴿يسارعون في الكفر﴾ بتكذيبك فإنهم ما خرجوا من الكفر بل هم فيه منغمسون فإذا سمعت منهم قول الكفر لا تحفل به حتى لا يسبب لك حزناً في نفسك. ﴿من الذين[2] قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا﴾ أي لا يحزنك كذلـك حال اليهـود الـذين يكـذبون بنبؤتك ويجحدون رسالتك، ﴿سماعون للكذب﴾ سماعـون ليهود آخرين لم يأتوك كيهود خيبر وفدك أي كثيروا السمع للكذب الذي يقوله أحبارهم لما فيه من الإساءة إليك سماعون لأهل قوم آخرين ينقلون إليهم أخبارك كوسائط وهم لم يأتوك وهم يهود خيبر إذ أوعزوا إليهم أن يسألوا لهم النبي ﷺ عن حد الزنى ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾، أي يغيرون حكم الله الذي تضمنه الكلام، يقولون لهم إن أفتـاكم في الـزانـين المحصنين بالجلد والتحميم بالفحم فاقبلوا ذلك وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا قبول ذلك. هذا معنى قوله تعالى في هذه الآية ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا﴾ وقال تعالى لرسوله، ﴿ومن يرد الله

---

(١) هو النبي محمد ﷺ خاطبه ربّه بعنوان الرسالة تشريفاً له وتعظيماً وإشعاراً له بعدم داعي الحزن إذ مَنْ كان في مقامه لا يحزن مهما كانت المصائب، والآية نزلت في حادثة زنى اليهوديين إذ روي في الصحيحين أنّ جابراً قال: زنى رجل من أهل فدك، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن سلوا محمداً عن ذلك فإن أمركم بالجلد فخذوه وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه فسألوه فدعا ابن صوريا وكان عالمهم وكان أعور فقال له رسول الله ﷺ: «أنشدك الله كيف تجدون حدّ الزنى في كتابكم؟ فقال ابن صوريا فأمّا إذ ناشدتني الله فإنا نجد في التوراة أنّ النظرة زنية، والاعتناق زنية، والقبلة زنية فإن شهد أربعة بأنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فقد وجب الرجم فقال النبي ﷺ هو ذاك».

(٢) مِنْ: بيانية أي بيّنت أن المسارعين في الكفر هم من المنافقين واليهود.

فتنته﴾ أي إضلاله عن الحق لما اقترف من عظائم الذنوب وكبائر الآثام **﴿فلن تملك له من الله شيئاً﴾** إذا أراد الله إضلاله إذاً فلا يحزنك مسارعتهم في الكفر، **﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾** من الحسد والشرك والنفاق لسوابق الشر التي كانت لهم فحالت دون قبول الإيمان والحق، **﴿لهم في الدنيا خزي﴾** أي ذل وعار، **﴿ولهم في الأخرة عذاب عظيم﴾** جزاء كفرهم وبغيهم. هذا ما دلت عليه الآية (٤١) أما الآية الثانية (٤٢) فقد تضمنت وصف أولئك اليهود بصفة كثرة استماع الكذب مضافاً إليه كثرة أكلهم للسحت وهو المال الحرام أشد حرمة كالرشوة والربا،[1] فقال تعالى عنهم **﴿سماعون للكذب أكالون للسحت[2] فإن جاءوك . .﴾** أي للتحاكم عندك فأنت مخير بين أن تحكم بينهم بحكم الله.[3] أو تعرض عنهم وتتركهم لأحبارهم يحكمون بينهم كما شاءوا وإن تعرض عنهم فلم تحكم بينهم لن يضروك شيئاً أي من الضرر ولو قل، لأن الله تعالى وليك وناصرك، وإن حكمت بينهم فاحكم بينهم بالقسط أي بالعدل، لأن الله تبارك وتعالى يحب ذلك فافعله لأجله إنه يحب القسط والمقسطين، وقوله تعالى في الآية الثالثة (٤٣) **﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾**. أي إنه مما يتعجب منه أن يحكموك فتحكم بينهم برجم الزناة، وعندهم التوراة فيها نفس الحكم فرفضوه معرضين عنه اتّباعاً لأهوائهم، **﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾** لا بك ولا بحكمك ولا بحكم التوراة.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ استحباب ترك الحزن باجتناب أسبابه ومثيراته.

٢ـ حرمة سماع الكذب لغير حاجة تدعو إلى ذلك.

٣ـ حرمة تحريف الكلام وتشويهه للإفساد.

---

(١) الرشوة مشتقة من الرشا الذي هو الحبل الذي يستخرج به الماء من البئر بضميمة الدلو وعليه فكل مال أعطى لحاكم ليأخذ به الراشي حق امرىء فهو رشوة وسحت محرّمان بلا خلاف، وكذا ما يدفعه الواسطة لحاكم ليسقط عنه حقاً وجب عليه فهو رشوة. أمّا ما كان ليدفع به عن نفسه أو ماله أو عرضه أو دينه فلا يحرم وليس هو من الرشوة، قال السمرقندي الفقيه وبهذا نأخذ.

(٢) أصل السحت: الهلاك والشدّة قال تعالى: ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ وقال الفرزدق:

وعضّ زمانٍ يا ابنِ مروان لم يدع   من المال إلا مسحتاً أو مجلّف

وسمي المال الحرام كالربا، والرشوة سحتاً لأنه يسحت الطاعات ويبطل ثوابها ويسحت البركة ويزيلها.

(٣) يرى مالك والشافعي أن اليهود إذا رفعوا للإمام قضية دم أو مال أو عرض حكم بينهم بما أنزل الله، وإن كان ما رفعوه لا يتعلق بالمال أو الدم أو العرض تركهم معرضاً عنهم، وأبو حنيفة يرى الحكم بينهم مطلقاً.

٤ـ الحاكم المسلم مخير في الحكم بين أهل الكتاب إن شاء حكم بينهم وإن شاء أحالهم على علمائهم .

٥ـ وجوب العدل في الحكم ولو كان المحكوم عليه غير مسلم .

٦ـ تقرير كفر[1] اليهود وعدم إيمانهم .

إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ
هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ
ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ
وَٱخْشَوْنِ ۚ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ
فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ
بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ
قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن
لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾
وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ

(١) قالت العلماء : إنّ مَنْ طلب غير حكم الله تعالى من حيث لم يرضَ به فهو كافر وهذه حالة اليهود ، وحال أكثر المسلمين اليوم حيث لم يرضوا بحكم الله تعالى وحكموا شرائع الباطل ، وقوانين الكفر.

﴿أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

شرح الكلمات :

التوراة : كتاب موسى عليه السلام.

هدى ونور : الهدى: ما يوصل إلى المقصود والنور: ما يهدى السائر إلى غرضه.

هادوا : اليهود.

الربانيون : جمع رباني: العالم المربي الحكيم.

الأحبار[1] : جمع حبر: العالم من أهل الكتاب.

وكتبنا : فرضنا عليهم وأوجبنا.

قصاص : مساواة.

وقفينا : أتبعناهم بعيسى بن مريم.

الفاسقون : الخارجون عن طاعة الله ورسله.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث على بني إسرائيل إذ قال تعالى مخبراً عما آتى بني إسرائيل ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾ هدى من كل ضلالة ونور مبين للأحكام مُخرج من ظلمات الجهل ﴿يحكم بها النبيون﴾ من بني إسرائيل ﴿النبيون الذين أسلموا﴾ لله قلوبهم ووجوههم فانقادوا لله ظاهراً وباطناً، ﴿للذين هادوا﴾[2]، ويحكم بها الربانيون من أهل العلم والحكمة من بني إسرائيل ﴿بما استحفظوا﴾ بسبب استحفاظ الله تعالى إياهم كتابه التوراة فلا يبدلونه ولا يغيرون فيه، ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ بأحقيته وسلامته من النقص والزيادة بخلافكم أيها اليهود فقد حرفتم الكلم عن مواضعه وتركتم الحكم به فما لكم؟ فأظهروا الحق من نعت محمد ﷺ والأمر بالإيمان به، ومن ثبوت الرجم وإنفاذه في الزناة ولا تخشوا

---

(١) قالوا: الحَبر بالفتح العالم لتحبير الكلام والعلم وتحسينه.

(٢) قد تكون اللام هنا بمعنى على أي: على الذين هادوا، وقد تكون على بابها ويكون لفظ عليهم محذوفاً أي: يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا وعليهم فحذف (عليهم).

الناس في ذلك واخشوا الله تعالى فهو أحق أن يخشى، ولاتشتروا بآيات الله التي هي أحكامه فتعطلوها مقابل ثمن قليل تأخذونه ممن تجاملونهم وتداهنونهم على حساب دين الله وكتابه. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[1] فكيف ترضون بالكفر بدل الأيمان.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤٤) أما الآية الثانية (٤٥) ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس..﴾[2] فقد أخبر تعالى أنه فرض على بني إسرائيل في التوراة القود في النفس والقصاص في الجراحات فالنفس تقتل بالنفس، العين تفقأ بالعين[3] والأنف يجدع بالأنف، والأذن[4] تقطع بالأذن والسن تكسر إن كسرت[5] بالسن، وتقلع به إن قلع، والجروح[6] بمثلها قصاص ومساواة وأخبر تعالى أن من تصدق على الجاني بالعفو عنه وعدم المؤاخذة فإن ذلك يكون كفارة لذنوبه،[7] وإن لم يتصدق عليه واقتص منه يكون ذلك كفارة لجنايته بشرط وذلك بأن يقدم نفسه للقصاص تائباً أي نادماً على فعله مستغفراً ربه. وقوله تعالى في ختام الآية: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾، وذلك بأن قتل غير القاتل أو قتل بالواحد اثنين أوفقأ بالعين عينين كما كان بنوالنضير يعاملون به قريظة بدعوى الشرف عليهم. هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (٤٦) وهي قوله تعالى: ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم﴾ فقد أخبر تعالى أنه أتبع أولئك الأنبياء السابقين من بني إسرائيل عيسى بن مريم عليه السلام أي أرسله بعدهم مباشرة ﴿مصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ لم ينكرها أو يتجاهلها، ﴿وآتيناه الإنجيل﴾، أي وأعطيناه الإنجيل وحياً أوحيناه إليه وهو كتاب مقدس أنزله الله تعالى عليه فيه أي في الإنجيل هدى من الضلال ونور لبيان الأحكام من الحلال

---

(١) القول الذي لا خلاف فيه هو أنّ المسلم لايكفر لمجرّد عدم حكمه بما أنزل الله تعالى. وإنّما يفسق ويصبح في عداد الفاسقين من أمّة الإسلام أمّا الكفر فلا يكفر ولا يكفّر إلاّ بشرط أن ينكر هداية القرآن وصلاحيته ويعرض عنه مستخفاً به مفضلا عليه غيره.

(٢) الذي عليه أكثر الفقهاء أنّ المسلم لايقتل بالذميّ لقول الرسول ﷺ «المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يدٌ على من سواهم ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده» رواه أبو داود والترمذي.

(٣) لا خلاف أنّ في العينين دية وفي العين الواحدة نصف دية، وفي عين الأعور دية كاملة وفي الأنف إذا جدع الدية كاملة.

(٤) الدية في ذهاب السمع أمّا مع بقاء السمع ففيه حكومة.

(٥) في السنّ خمس من الإبل للحديث الصحيح في ذلك.

(٦) وفي الشفتين الدية وفي الواحدة نصف الدية وفي اللسان إذا قطع الدية.

(٧) اختلف في دية المرأة الأكثرون على أنّ أصبعها كأصبع الرجل وسنّها كسّنه وموضحتها كموضحته ومنقلتها كمنقلته فإذا بلغت ثلث الدية كانت على النصف من دية الرجل، وقالت طائفة: دية المرأة فيما ذكر على النصف من دية الرجل.

والحرام، ﴿ومصدقاً﴾ أي الإنجيل لما قبله من التوراة أي مقرراً أحكامها مثبتاً لها إلا ما نسخه الله تعالى منها بالإنجيل، ﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾ أي يجد فيه أهل التقوى الهداية الكافية للسير في طريقهم الى الله تعالى والموعظة التامة للاتعاظ بها في الحياة. هذا ما دلت عليه الآية الثالثة أما الآية (٤٧) وهي قوله تعالى: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ أي وقلنا ليحكم أهل الإنجيل يريد وأمرنا أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه من الأحكام، وأخبرناهم أن من ﴿لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ عن أمره الخارجون عن طاعته وقد يكون الفسق ظلماً وكفراً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب خشية الله بأداء ما أوجب وترك ما حرم.

٢ـ كفر من جحد أحكام الله فعطلها أو تلاعب بها فحكم بالبعض دون البعض.

٣ـ وجوب[1] القود في النفس والقصاص في الجراحات لأن ما كتب على بني إسرائيل كتب على هذه الأمة.

٤ـ من الظلم أن يعتدى في القصاص بأن يقتل بالواحد اثنان أو يقتل غير القاتل أو يفقأ بالعين الواحدة عينان مثلا وهو كفر مع الاستحلال وظلم في نفس الوقت.

٥ـ مشروعية القصاص في الإنجيل وإلزام أهله بتطبيقه وتقرير فسقهم إن عطلوا تلك الأحكام وهم مؤمنون بها.

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ

(١) إلا أن يرضى المظلوم بالدية فإنه يعطاها على نحو ما تقدم آنفاً.

ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

الكتاب : القرآن الكريم.

من الكتاب : اسم جنس بمعنى الكتب السابقة قبله كالتوراة والإنجيل.

مهيمناً عليه : حاكماً عليه أي محققاً للحق الذي فيه، مبطلاً للباطل الذي ألتصق به.

شرعة ومنهاجاً[1] : شريعة تعملون بها وسبيلاً تسلكونه لسعادتكم وكمالكم من سنن الهدى.

أمة واحدة : لا اختلاف بينكم فى عقيدة ولا في عبادة ولا قضاء.

فاستبقوا : أي بادروا فعل الخيرات ليفوز السابقون.

أن يفتنوك : يضلوك عن الحق.

فإن تولوا : أعرضوا عن قبول الحق الذي دعوتهم إليه وأردت حكمهم به.

حكم الجاهلية : هو ما عليه أهل الجاهلية من الأحكام القبلية التي لا تقوم على وحي الله تعالى وإنما على الآراء والأهواء.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى إنزاله التوراة وأن فيها الهدى والنور وذكر الإنجيل وأنه أيضاً فيه الهدى والنور ناسب ذكر القرآن الكريم فقال: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب﴾ أي القرآن ﴿بالحق﴾ متلبساً به لا يفارقه الحق والصدق لخلوه من الزيادة والنقصان حال كونه ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ من

---

(١) أصل الشريعة في اللغة: الطريقة التى يتوصل بها إلى الماء وهي هنا: ما شرع الله لعباده من الدين الشامل للعقائد، والعبادات والأحكام القضائية يُتوصّل بها إلى سعادة الدارين.

الكتب السابقة، ومهيمناً[1] عليها حفيظاً حاكماً فالحق ما أحقه منها والباطل ما أبطله منها. وعليه ﴿فاحكم﴾ يا رسولنا بين اليهود والمتحاكمين إليك ﴿بما أنزل الله﴾ إليك بقتل القاتل ورجم الزاني لا كما يريد اليهود ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ في ذلك وَتَتْرُكَ ما جاءك من الحق، واعلم أنـا جعلنـا لكل أمة شرعة ومنهاجاً أي شرعاً وسبيلاً خاصاً يسلكونه في إسعادهم وإكمالهم، ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على شريعة واحدة لا تختلف في قضاياها وأحكامها لفعل، ولكن نوع الشرائع فأوجب وأحل ونهى وحرم في شريعة ولم يفعل ذلك في شريعة أخرى من أجل أن يبتليكم فيما أعطاكم وأنزل عليكم ليتبين المطيع من العاصي والمهتـدي من الضـال، وعليه فَهَلُـمَّ[2] ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي بادروا الأعمال الصالحة وليجتهـد كل واحـد أن يكـون سابقـاً، فإن مرجعكم إليه تعالى ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾، ثم يجزيكم الخير بمثله والشر إن شاء كذلك. هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الآية الثانية (٤٩) فقد أمر الله تعالى فيها رسوله ونهاه وحذره وأعلمه وندد بأعدائه أمره أن يحكم بين من يتحاكمون إليه بما أنزل عليه من القرآن فقال: ﴿وأن احكم[3] بينهم بما أنزل الله﴾ ونهاه أن يتبـع أهواء اليهود فقال: ﴿ولاتتبع أهواءهم﴾ وحذره من أن يتبع بعض آرئهم فيترك بعض ما أنزل عليه ولا يعمل به ويعمل بما اقترحوه عليه فقال: ﴿واحذرهم[4] أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ وأعلمه أن اليهود إن تولوا أي أعرضوا عن قبول حكمه وهو الحكم الحق العادل فإنما يريد الله تعالى أن ينزل بهم عقوبة نتيجة ما قارفوا من الذنوب وما ارتكبوا من الخطايا فقال: ﴿فإن تولوا فاعلم أنّما يريد الله أن يصيبهم[5] ببعض ذنوبهم﴾. وندد بأعدائه حيث أخبر أن أكثرهم فاسقون أي عصاة خارجون عن طاعة الله تعالى ورسله فقال: ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾. فسلاه بذلك وهون عليه ما قد يجده

---

(١) فسر مهيمنا: بعال، مرتفع عليه ويمؤتمن عليه ويعود اللّفظان إلى ما فسرناه به لأنّ المرتفع العالي هو الحاكم، والمؤتمن هو الحافظ.

(٢) فيه دليل على تقديم الواجبات وعدم تأخيرها لا سيّما الصلوات الخمس وخالف أبو حنيفة في الصلاة والآية حجة عليه.

(٣) هل هذه الآية ناسخة للتخيير السابق؟ أو لا نسخ ويقدر بعدها جملة ـ إن شئت ـ لتقدم ذكر التخيير وما تقدم من توجيه في آية ﴿فاحكم بينهم أو اعرض عنهم﴾ يحدد معنى هذه الآية.

(٤) روى ابن اسحاق عن ابن عباس أن قوماً من الأحبار اجتمعوا منهم ابن صوريا الأعور وكعب وشاس وقالوا: اذهبوا بنا إلى محمد لعلّنا نفتنه عن دينه فإنّما هو بشر فأتوه وقالوا: قد عرفت يا محمد أنّا أحبار اليهود وإن اتبعناك لم يخالفنا أحد من اليهود وإنّ بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم حتى نؤمن بك فأبى رسول الله ﷺ ونزلت هذه الآية.

(٥) وقد أصابهم فأجلوا من الحجاز وقُتل بنو قريضة وضربت عليهم الجزية في ديار الإسلام.

من ألم تمرد اليهود والمنافقين وإعراضهم عن الحق الذي جاءهم به ودعاهم إليه . هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (٥٠) فقد أنكر تعالى فيها على اليهود طلبهم حكم أهل الجاهلية حيث لا وحي ولا تشريع إلهي وإنما العادات والأهواء والشهوات معرضين عن حكم الكتاب والسنة حيث العدل والرحمة فقال تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون[1]﴾. ثم أخبر تعالى نافياً أن يكون هناك حكم أعدل أو أرحم من حكم الله تعالى للمؤمنين به الموقنين بعدله تعالى ورحمته فقال: ﴿ومن أحسن[2] من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾؟.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ وجوب الحكم وفي كل القضايا بالكتاب والسنة.

٢ـ لا يجوز تحكيم أية شريعة أو قانون غير الوحي الإلهي الكتاب والسنة.

٣ـ التحذير من اتباع أهواء الناس خشية الإضلال عن الحق.

٤ـ بيان الحكمة من اختلاف الشرائع وهو الابتلاء.

٥ـ أكثر المصائب في الدنيا ناجمة عن بعض الذنوب.

٦ـ حكم الشريعة الإسلامية أحسن الأحكام عدلاً ورحمة.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾

---

(١) ﴿أفحكم﴾ منصوب بيبغون أي: أيبغون حكم الجاهلية، إذ أهل الجاهلية من العرب يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع، واليهود يقيمون الحدود على الضعفاء والفقراء دون الأقوياء والأغنياء.

(٢) الاستفهام إنكاري أي: ينكر أن يكون هناك حكم أحسن من حكم الله تعالى.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ (٥٣)

شرح الكلمات :

آمنوا : صدقوا بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

أولياء : لكم توالونهم بالنصرة والمحبة.

بعضهم أولياء بعض : أي اليهودي ولي أخيه اليهودي، والنصراني ولي أخيه النصراني.

الظالمين : الذين يوالون أعداء الله ورسوله ويتركون موالاة الله ورسوله والمؤمنين.

مرض : نفاق وشك وشرك.

يسارعون فيهم : أي في البقاء على موالاتهم أي موالاة اليهود والنصارى.

دائرة[1] : تدور علينا من جدب، أو انتهاء أمر الإسلام.

بالفتح : نصر المؤمنين على الكافرين والقضاء لهم بذلك كفتح مكة.

جهد أيمانهم[2] : أقصاها وأبلغها.

حبطت أعمالهم : بطلت وفسدت فلم ينتفعوا منها بشيء لأنها ما كانت لله تعالى.

معنى الآيات :

ورد في سبب نزول هذه الآية أن عبادة بن الصامت الأنصاري، وعبدالله بن أبي كان لكل منهما حلفاء من يهود المدينة، ولما انتصر رسول الله ﷺ والمؤمنون في بدر اغتاظ اليهود وأعلنوا سوء نياتهم فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفائه ورضي بموالاة الله ورسوله والمؤمنين وأبى ابن أبي ذلك وقال بعض ما جاء في هذه الآيات فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ أي لكم من دون المؤمنين وقوله تعالى ﴿بعضهم

---

(١) الدائرة: اسم فاعل من دار يدور فهو دائر إذا عكس سيره فالدائرة: تغيّر الحال، وغلبت في الخير والشرّ أي: من خير إلى شر، ودوائر الدهر: نوبه ودُوله.

(٢) حقيقة الجهد: التعب والمشقة، ومنتهى الطاقة، والمراد به في الآية آكد الأيمان وأغلظها، وفعل الجهد: جَهَد كمنع يجهد كيمنع جهدا كمنعاً.

أولياء بعض﴾ تعليل لتحريم موالاتهم،[1] لأن اليهودي ولي لليهودي والنصراني ولي للنصراني على المسلمين فكيف تجوز إذاً موالاتهم، وكيف يصدقون أيضاً فيها فهل من المعقول أن يحبك النصراني ويكره أخاه، وهل ينصرك على أخيه؟ وقوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم﴾ أي أيها المؤمنون ﴿فإنه منهم﴾[2]، لأنه بحكم موالاتهم سيكون حرباً على الله ورسوله والمؤمنين وبذلك يصبح منهم قطعاً وقوله: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ جملة تعليلية تفيد أن من والى اليهود والنصارى من المؤمنين أصبح مثلهم فيحرم هداية الله تعالى لأن الله لا يهدي القوم الظالمين، والظلم وضع الشيء في غير محله وهذا الموالي لليهود والنصارى قد ظلم بوضع الموالاة في غير محلها حيث عادى الله ورسوله والمؤمنين ووالى اليهود والنصارى أعداء الله ورسوله والمؤمنين. هذاما دلت عليه الآية الأولى أما الآية الثانية (٥٢) فقد تضمنت بعض ما قال ابن أبي مبرراً به موقفه المخزي وهو الإبقاء على موالاته لليهود إذ قال تعالى لرسوله وهو يخبره بحالهم: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ كابن أبي والمرض مرض النفاق ﴿يسارعون فيهم﴾ أي في موالاتهم ولم يقل يسارعون إليهم لأنهم ما خرجوا من دائرة موالاتهم حتى يعودوا إليها بل هم في داخلها يسارعون، يقولون كالمعتذرين ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ من تقلب الأحوال فنجد أنفسنا مع أحلافنا ننتفع بهم. وقوله تعالى: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ وعسى من الله تفيد تحقيق الوقوع فهي بشرى لرسول الله والمؤمنين بقرب النصر والفتح[3] ﴿أو أمر من عنده[4] فيصبحوا﴾ أي أولئك الموالون لليهود ﴿على ما أسروا في أنفسهم﴾ من النفاق وبغض المؤمنين وحب الكافرين ﴿نادمين﴾ حيث لا ينفعهم ندم. هذا ما تضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (٥٣) وهي قوله تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ عندما يأتي الله بالفتح أوأمرمن عنده فيه نصرة المؤمنين وهزيمة الكافرين، ويصبح المنافقون نادمين يقول المؤمنون مشيرين إلى المنافقين: ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله﴾ أغلظ الأيمان ﴿إنهم لمعكم حبطت أعمالهم﴾ لأنها لم تكن لله ﴿فأصبحوا خاسرين﴾.

---

(١) الموالاة حقيقتها: المودة والنصرة، فمن والى اليهود والنصارى فأحبهم ونصرهم على المسلمين لازمه أنه أبغض المؤمنين وخذلهم وبهذا يصبح كافراً.

(٢) هذا الحكم باقٍ إلى يوم القيامة وهو: حرمة موالاة الكافرين ومَنْ والاهم تُحرم موالاته كما تحرم موالاتهم ووجبت له النار كما وجبت لهم.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أتى الله بالفتح فقتلت مقاتلة بني قريظة وسبيت ذراريهم وأجلى بنو النضير.

(٤) فسَّر الحسنُ قوله تعالى: ﴿أو أمر من عنده﴾ بأنه إظهار أمر المنافقين والإخبار بأسمائهم والأمر بقتلهم، وهو تفسير عظيم عليه نور.

هداية الآيـات :

من هداية الآيات :

١ـ حرمة موالاة اليهود والنصارى[1] وسائر الكافرين.

٢ـ موالاة الكافر على المؤمن تعتبر ردة عن الإسلام.

٣ـ موالاة الكافرين ناجمة عن ضعف الإيمان فلذا تؤدي إلى الكفر.

٤ـ عاقبة النفاق سيئة ونهاية الكفر مريرة.

يَٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾

شـرح الكلمـات :

مـن يرتد[2] : أي يرجع إلى الكفر بعد إيمانه.

أذلة على المؤمنين : أرقاء عليهم رحماء بهم.

أعزة على الكافرين[3] : أشـداء غـلاظ عليهم.

لومة لائـم : عــذل عــاذل.

حزب الله : أنصار الله تعالى.

---

(١) لا يُعدُّ موالاة استعمال اليهودي أو النصراني في عمل تجاري أو عمراني أو مهني إذا دعت الحاجة إليه، ولا يصح استبطانهم ولا الاستعانة بهم في الجهاد.

(٢) قرىء: ﴿يرتدد﴾ بالفكّ وهي قراءة أهل المدينة والشام.

(٣) قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيّد للعبد وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته.

معنى الآيـات :

هذه الآية الكريمة (٥٤) ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ تضمنت خبراً من أخبار الغيب التي يخبر بها القرآن فتتم طبق ما أخبر به فتكون آية أنه كلام الله حقاً وأن المنزل على رسوله صدقا فقد أخبر تعالى أن من يرتد من المؤمنين سوف يأتي الله عز وجل بخير منه ممن يحبون الله ويحبهم الله تعالى رحماء بالمؤمنين أشداء على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لوم من يلوم، ولا عتاب من يعتب عليهم. وما إن مات الرسول ﷺ حتى ارتد فئات[1] من أجلاف الأعراب ومنعوا الزكاة وقاتلهم أبوبكر الصديق مع الصحابة رضوان الله عليهم حتى أخضعوهم للإسلام وحسن إسلامهم فكان أبوبكر وأصحابه ممن وصف الله تعالى يحبون الله ويحبهم الله يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم، وقد روي بل وصح أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية وتلاها ﷺ وأبو موسى الأشعري أمامه فأشار إليه وقال قوم هذا، وفعلاً بعد وفاة الرسول جاء الأشعريون وظهرت الآية وتمت المعجزة وصدق الله العظيم. وقوله تعالى: ﴿ذلك فضل الله﴾ الإشارة إلى ما أولى[2] أولئك المؤمنين من أبي بكـر الصديق والصحابة والأشعريين من تلك الصفات الجليلة من حب الله والرقة على المؤمنين والشدة على الكافرين، والجهاد في سبيل الله، وقوله تعالى: ﴿والله واسع عليم﴾ أي واسع الفضل عليم بمن يستحقه. هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما[3] الثانية (٥٥) فقد تضمنت طمأنة الرب تعالى لعبادة بن الصامت وعبدالله بن سلام ومن تبرأ من حلف اليهود ووالى الله ورسوله فأخبرهم تعالى أنه هو وليهم ورسوله والذين آمنوا ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون[4]﴾ أي خاشعون متطامنون وأما ولاية اليهود والنصارى فلا خير لهم فيها وهم منها براء فقصرهم تعالى على ولايته وولاية رسوله والمؤمنين الصادقين وفي الآية الثالثة أخبرهم تعالى أن من يتول الله ورسوله والذين آمنوا ينصره الله ويكفه ما يهمه، لأنه أصبح من حزب الله، وحزب الله أي أولياؤه وأنصاره هم الغالبون هذا ما دلت عليه الآية الكريمة وهي قوله

---

(١) قال ابن اسحاق لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب إلاّ ثلاثة مساجد مسجد المدينة ومسجد مكة ومسجد جؤاثي، جؤاثي: اسم حصن بالبحرين وكان المرتدون على قسمين: قسم منعوا الزكاة واعترفوا بباقي الشريعة وقسم نبذوا الشريعة.

(٢) أي: ما وهبهم وأعطاهم من الصفات الحميدة الجليلة.

(٣) هي قوله تعالى: ﴿إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا..﴾ الخ.

(٤) يروى أنّ عليا رضي الله عنه كان يصلي نافلة في المسجد فسأله أحد فرمى إليه بالخاتم وهو يصلي فاستدل الفقهاء بهذا أنّ العمل اليسير لا يبطل الصلاة.

تعالى: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب[1] الله هم الغالبون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- إخبار القرآن الكريم بالغيب وصدقه في ذلك فكان آية أنه كلام الله.

٢- فضيلة أبي بكر والصحابة والأشعريين قوم أبي موسى الأشعري وهم من أهل اليمن.

٣- فضل حب الله والتواضع للمؤمنين وإظهار العزة على الكافرين، وفضل الجهاد في سبيل الله وقول الحق والثبات عليه وعدم المبالاة بمن يلوم ويعذل في ذلك.

٤- فضيلة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والخشوع والتواضع.

٥- ولاية الله ورسوله والمؤمنين الصادقين توجب لصاحبها النصر والغلبة على أعدائه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ[2] مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾

---

(١) الحزب: الصنف من الناس وأصله من النائبة مأخوذ من قولهم: حَزَبَهُ كذا أي: نابه كأنّ المتحزّبين مجتمعون اجتماع أهل النائبة عليها.

(٢) روي أنه لما نزلت آية: ﴿قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك..﴾ الخ قال المسلمون لهم يا إخوة القردة والخنازير نكسوا رؤوسهم افتضاحاً وفيهم يقول الشاعر:

فلعنة الله على اليهود إنّ اليهود إخوة القرود

شـرح الكلـمات :

هزواً ولعباً : الهزء: ما يُهزأ به ويسخر منه. واللعب: ما يلعب به.

أوتوا الكتاب : هم اليهود في هذا السياق.

الكفـــار : المشـــركـون.

إذا ناديتم إلى الصلاة : أذنتم لها.

هـل تنقمون منا : أي ما تنقمون منا، ومعنى تنقمون هنا تنكرون منا وتعيبون علينا.

مثـوبة : جـــزاء.

فاســقون : خارجون عن طاعة الله تعالى بالكفر والمعاصي.

القـــردة : جمع قرد حيوان معروف مجبول على التقليد والمحاكاة.

والخنازيـر : جـمع خنزيـر حيوان خبيث معروف محرم الأكل.

شـر مكاناً : أي منزلة يوم القيامة في نار جهنم.

معنى الآيـات :

مازال السياق في تحذير المؤمنين من موالاة اليهود وأعداء الله ورسوله فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً ﴿لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم﴾ الإسلامي ﴿هزواً﴾ شيئاً يهزءون به، ولعباً أي شيئاً يلعبون به ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني اليهود، والكفار[1] وهم المنافقون والمشركون (أولياء) أنصاراً وأحباء وأحلافاً[2] واتقوا الله في ذلك أي في اتخاذهم أولياء إن كنتم مؤمنين صادقين في إيمانكم فإن حب الله ورسوله والمؤمنين يتنافى معه حب أعداء الله ورسوله والمؤمنين. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٧) أما الآية الثانية (٥٨) فقد تضمنت إخبار الله تعالى بما يؤكد وجوب معاداة من يتخذ دين المؤمنين هزواً ولعباً وهم أولئك الذين إذا سمعوا الأذان ينادي[3] للصلاة اتخذوه هزواً ولعباً فهذا يقول ما هذا الصوت وآخر يقول

---

(١) قرىء والكفار بالجرّ، وقرىء بالنصب قال مكي: لولا اتفاق الجماعة على قراءة النصب لاخترت قراءة الجرّ لقوته في الإعراب، وفي التفسير، والقرب من المعطوف عليه.

(٢) هذه الآية فيها دليل على عدم جواز التأييد والاستنصار بالمشركين، وقد روي عن جابر أن النبي ﷺ لمّا أراد الخروج إلى أحد جاء قوم من اليهود فقالوا: نسير معك فقال ﷺ: «إنا لا نستعين على أمرنا بالمشركين».

(٣) لم يكن بمكة الأذان، وإنّما كان ينادى للصلاة بلفظ «الصلاة جامعة» ولمّا هاجر ﷺ وصرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان وبقيت «الصلاة جامعة» للأمر بعرض ولمّا همّهم أمرالأذان رأى عبدالله بن زيد الأنصاري الأذان في المنام وكذا رآه عمر.

هذا نهيق حمار قبح الله فولهم وأقمأهم. فقال تعالى عنهم: ﴿وإذا ناديتم[1] إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾. حقاً انهم لا يعقلون فلو كانوا يعقلون الكلام لكان النداء إلى الصلاة من أطيب ما يسمع العقلاء لأنه نداء إلى الطهر والصفاء وإلى الخير والمحبة والألفة نداء إلى ذكر الله وعبادته، ولكن القوم كما أخبر تعالى عنهم: ﴿لا يعقلون﴾ شأنهم شأن البهائم والبهائم أفضل منهم. هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (٥٩) فقد تضمنت تعليم الله تعالى لرسوله أن يقول لأولئك اليهود والكفرة الفجرة يا أهل الكتاب إنكم بمعاداتكم لنا وحربكم علينا ما تنقمون منا أي ما تكرهون منا ولا تعيبون علينا إلا إيماننا بالله وما أنزل علينا من هذا القرآن الكريم وما أنزل من قبل من التوراة والإنجيل، وكون أكثركم فاسقين فهل مثل هذا ينكر من صاحبه ويعاب عليه؟ اللهم لا، ولكنكم قوم لا تعقلون هذا معنى قوله تعالى في هذه الآية: ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾ أما الآية الرابعة في هذا السياق (٦٠) فقد تضمنت تعليم الله لرسوله كيف يرد على أولئك اليهود إخوان القردة والخنازير قولهم: لا نعلم ديناً شراً من دينكم، وذلك أنهم سألوا النبي ﷺ: بمن تؤمن؟ فقال أؤمن بالله وبما أنزل إلينا وما أنزل على موسى وما أنزل على عيسى فلما قال هذا، قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم بغضاً لعيسى عليه السلام وكرهاً له، فأنزل الله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة﴾ أي ثواباً وجزاء ﴿عند الله؟﴾ أنه ﴿من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير﴾ إذ مسخ طائفة منهم قردة، وأخرى خنازير على عهد داود عليه السلام، وقوله ﴿وعبد الطاغوت[2]﴾ أي وجعل منهم من عبد الطاغوت وهو الشيطان وذلك بطاعته والانقياد لما يجلبه عليه ويزينه له من الشر والفساد، إنه أنتم يا معشر يهود، إنكم لشر مكاناً يوم القيامة وأضل سبيلاً اليوم في هذه الحياة الدنيا.

---

(١) الأذان فرض في المدن والقرى وسنة لجماعة تطلب غيرها، ومستحب لمن لا يطلب غيره، والسفر، والحضر سواء إلّا أنه في السفر أعظم أجراً لحديث الموطأ: «لا يسمع مدي صوت المؤذن جنّ ولا إنس، ولا شيء إلّا شهد له يوم القيامة» وهذا الثواب عام لمن أذّن في السفر والحضر، والإقامة سنّة مؤكدة لكل صلاة ومن أذن أقام ولو أقام غير المؤذن جازت.

(٢) قريء هذا اللفظ ﴿عَبَد الطاغوت﴾ بعدة قراءات منها عَبُدَ اسماً كفَضُلَ، وعبدوا الطاغوت، وعُبُد الطاغوت أي جمع عبد، وعُبَّد الطاغوت جمع عابد كشاهد وشُهَّد.

هدايـة الآيات

من هداية الآيات :

١ـ حرمة اتخاذ اليهود والنصارى والمشركين أولياء لاسيما أهل الظلم منهم.

٢ـ سوء أخلاق اليهود وفساد عقولهم.

٣ـ شعور اليهود بفسقهم وبعد ضلالهم جعلهم يعملون على إضلال المسلمين.

٤ـ تقرير وجود مسخ في اليهود قردة وخنازير.

٥ـ اليهود شر الناس مكانا يوم القيامة، وأضل الناس في هذه الدنيا.

وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

شـرح الكلمـات :

يكتمون : أي يضمرون في نفوسهم ويخفونه فيها.

في الإثم والعدوان : الإثم كل ضار وفاسد وهو ما حرمه الله تعالى من اعتقاد أو قول أو عمل، والعدوان: الظلم.

السحـت : المال الحرام كالرشوة والربا، وما يأخذونه من مال مقابل تحريف الكلم وتأويله.

الربانيون والأحبار : الربانيون هنا العباد المربون كمشايخ[1] التصوف عندنا. والأحبار: العلماء.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في فضح اليهود وبيان خبثهم زيادة في التنفير من موالاتهم فأخبر

(١) مشايخ الطرق ـ والحق يقال ـ لقد ربّوا كثيراً من الجهال على الإيمان والتقوى ولكن لعدم علمهم بالكتاب والسنّة ضلوا وأضلّوا في مجالات كثيرة وخاصة في العقيدة لذا لا يجوز إقرارهم، ولا التربيّ على أيديهم.

تعالى في الآية الأولى عن منافقيهم فقال: ﴿وإذا جاءوكم﴾[1] يريد: غشوكم في مجالسكم، ﴿قـالوا آمنا﴾ وما آمنوا ولكنهم ينافقون لا غير فقد دخلوا بالكفر[2] في قلوبهم وخرجوا به، ﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ من الكفر والكيد لكم. هذا معنى قوله تعالى في الآية الأولى (٦١) ﴿وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ وأما الآية الثانية (٦٢) فقد أخبر تعالى رسوله أنهم لكثرة ما يرتكبون من الذنوب ويغشون من المعاصي ترى كثيراً[3] منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت علناً لا يستترون به ولا يخفونه ثم ذمهم الله تعالى على ذلك وقبح فعلهم فقال ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾. وفي الآية الأخيرة: أنكر على عبادهم وعلمائهم سكوتهم عن جرائم عوامهم ورضاهم بها مصانعة لهم ومداهنة فقال تعالى: ﴿لولا ينهاهم[4] الربانيون والأحبار﴾ أي لم لا ينهونهم عن قولهم الإثم أي الكذب وأكلهم السحت الرشوة والربا، ثم ذم تعالى سكوت العلماء عنهم بقوله ﴿لبئس[5] ما كانوا يصنعون﴾ أي وعزتي وجلالي لبئس صنيع هؤلاء من صنيع حيث أصبح السكـوت المتعمـد لمنـافع خاصة يحصلون عليها صنعة لهم أتقنوها وحذقوها. والعياذ بالله.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ وجود منافقين مِنَ اليهود على عهد الرسول ﷺ بالمدينة.

٢ـ بيان استهتار اليهود وعدم مبالاتهم بارتكابهم الجرائم علانية.

٣ـ قبح سكوت العلماء على المنكر وإغضائهم على فاعليه، ولذا قال كثير من السلف في هذه الآية أشد آية وأخطرها على العلماء.

---

(١) هذه الآيات معطوفة على قوله تعالى: ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة﴾ السابقة وخصّ بهذه الصفات منافقوا اليهود وهم من جملة من اتخذوا الدين هزواً ولعبا.

(٢) أي أنهم ما آمنوا قط ولم يخالط الإيمان قلوبهم طرفة عين فهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين.

(٣) الرؤية هنا بصرية والخطاب عام لكلّ من يسمع ويرى والمعنى: أنّ حالهم لا تخفى على أحد ذي بصر.

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنه: ما في القرآن آية أشد توبيخا من هذه الآية: ﴿لولا ينهاهم الرّبانيونَ والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾ والآية وإن نزلت في يهود المدينة فقد ذكرت النصارى لأنّ حالهم سواء. والآية تنطبق اليوم على علماء المسلمين حيث تركوا الأمر والنهي والعياذ بالله تعالى من عاقبة ذلك فقد قال ﷺ «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده» الترمذي وصححه. ولولا هنا أداة تحظيظ، والمراد توبيخ علمائهم، وعابديهم على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٥) قال الزّجاج: اللام في قوله تعالى: ﴿لبئس﴾ للقسم، والتأكيد.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

يد الله مغلولة[1] : يريدون أنه تعالى ضيق عليهم الرزق ولم يوسع عليهم.

غلت أيديهم : دعاء عليهم بأن يحرموا الإنفاق في الخير وفيما ينفعهم.

لعنوا بما قالوا : طردوا من رحمة الله بسبب وصفهم الرب تعالى بالبخل.

بل يداه مبسوطتان : لا كما قالوا لعنهم الله: يد الله مغلولة أي ممسكة عن الإنفاق.

طغياناً : تجاوزاً لحد الاعتدال في قولهم الكاذب وعملهم الفاسد.

وألقينا بينهم : أي بين اليهود والنصارى.

أوقدوا ناراً : أي نار الفتنة والتحريش والإغراء والعداوات للحرب.

---

(١) القائل: فنحاص اليهودي عليه لعائن الله وهو يعني بمغلولة بخيلة لا تنفق وهو كاذب بل يمين الله ملأى لا يغيضها نفقةٌ سحّاء الليل والنهار «أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يَغضْ ما في يمينه» حديث الشيخين.

ولو أن أهل الكتاب : اليهود والنصـــارى.
من فوقهم ومن تحت ارجلهم : كناية عن بسط الرزق عليهم.
أمة مقتصدة : معتدلة لا غالية مفرطة، ولا جافية مفرطة.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى عن كفر اليهود وجرأتهم على الله تعالى بباطل القول وسيء العمل فيقول: ﴿وقالت اليهود[1] يد الله مغلولة﴾ يريدون أنه تعالى أمسك عنهم الرزق وضيقه عليهم، فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿غلت أيديهم﴾ وهو دعاء عليهم بأن لا يوفقوا للإنفاق فيما ينفعهم ﴿ولعنوا بما قالوا﴾. ولعنهم تعالى ولعنهم كل صالح في الأرض والسماء بسبب قولهم الخبيث الفاسد. وأكذبهم تعالى في قولهم ﴿يد الله مغلولة﴾ فقال: ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ كما قال عنه رسوله في الصحيح «يمين الله سَحَّاء[2] تنفق الليل والنهار» ثم أخبر تعالى نبيه محمـداً ﷺ ليسليه ويخفف عنه ما يجد في نفسه من جراء كفر اليهود وخبثهم فقال: ﴿وليزيدن كثيراً منهم﴾ أي من اليهود ﴿ ما أنزل إليك﴾ من الآيات التي تبين خبثهم وتكشف النقـاب عن سوء أفعالهم المخزية لهم. ﴿طغياناً وكفراً﴾ أي إبعاداً في الظلم والشر وكفراً بتكذيبك وتكذيب ما أنزل إليك وذلك دفعاً للحق ليبرروا باطلهم وما هم عليه من الاعتقاد الفاسد والعمل السيء، ثم أخبر تعالى رسوله بتدبيره فيهم انتقاماً منهم فقال عز من قائل: ﴿والقينا بينهم العداوة والبغضاء[3] إلى يوم القيامة﴾ أي أن العداوة بين اليهود والنصارى لا تنتهي إلى يوم القيامة، ثم أخبر عن اليهود أنهم ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب﴾ وذلك بالتحريش بين الأفراد والجماعات وحتى الشعوب والأمم، وبالإغراء، وقالة السوء، ﴿أطفأها الله﴾ تعالى فلم يفلحوا فيما أرادوه وقد أذلهم الله على يد رسوله والمؤمنين وأخزاهم وعن دار الإيمان أجلاهم وأخبر تعالى أنهم يسعون دائماً وأبداً في الأرض بالفساد فلذا أبغضهم الله وغضب عليهم، لأنه تعالى لا يحب المفسدين، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٤) أما الآية الثانية (٦٥) وهي قوله تعالى ﴿ولو أن أهل الكتاب﴾ من يهود ونصارى ﴿آمنوا﴾ بالله ورسوله وبما

(١) إنّه وإن كان القائل فنحاص بن عازوراء فإن رضى اليهود بمقالته سلكهم في سلكه واعتبروا كلهم قائلون، إذ الرضا بالكفر كفر.
(٢) هذا اللفظ معنى للحديث لا لفظه، وقد تقدّم قريبا لفظه كما في الصحيحين.
(٣) الكلام صالح لأن يكون (بينهم) المراد بهم اليهود أنفسهم كقوله تعالى: ﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ وأن يكون المراد بين اليهود والنصارى لتقدم ذكرهم معاً في قوله تعالى: ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ والواقع شاهد.

جاء من الدين الحق وعملوا به، ﴿واتقوا﴾ الكفر والشرك وكبائر الذنوب الفواحش، لكفر الله عنهم سيئآتهم فلم يؤاخذهم ولم يفضحهم بها ولأدخلهم جنات النعيم. وهذا وعد الله تعالى لليهود والنصارى فلو أنهم آمنوا واتقوا لأنجزه لهم قطعاً. وهو لا يخلف الميعاد.

أما الآية الأخيرة (٦٦) في هذا السياق فهي تتضمن وعداً إلهياً آخر وهو أن اليهود والنصارى لو أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ومن ذلك القرآن الكريم، ومعنى أقاموا ذلك آمنوا بالعقائد الصحيحة الواردة في تلك الكتب وعملوا بالشرائع السليمة والآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة التي تضمنتها تلك الكتب لو فعلوا ذلك لبسط الله تعالى عليهم الرزق وأسبغ عليهم النعم ولأصبحوا في خيرات وبركات تحوطهم من كل جانب هذا ما وعدهم الله به. ثم أخبر تعالى عن واقعهم المرير فقال: ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ لم تغل ولم تحف فلم تقل في عيسى أنه ابن الله ولا هو ابن زنى، ولكن قالت عبد الله ورسوله ولذا لما جاء النبي الأمي بشارة عيسى[1] عليه السلام آمنوا به وصدقوا بما جاء به من الهدى والدين الحق وهم عبدالله بن سلام وبعض اليهود، والنجاشي من النصارى وخلق كثير لا يحصون عداً. وكثير من أهل الكتاب ساء[2] أي قبح ما يعملون من أعمال الكفر والشرك والشر والفساد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ قبح وصف الله تعالى بما لا يليق بجلاله وكماله.

٢ـ ثبوت صفة اليدين لله تعالى ووجوب الإيمان بها على مراد الله تعالى، وعلى ما يليق بجلاله وكماله.

٣ـ تقرير ما هو موجود بين اليهود والنصارى من عداوة وبغضاء[3] وهو من تدبير الله تعالى.

٤ـ سعي اليهود الدائم في الفساد في الأرض فقد ضربوا البشرية بالمذهب المادي الإلحادي الشيوعي، وضربوها أيضاً بالإباحية ومكائد الماسونية.

---

(١) بشارة عيسى بدلٌ من النبي الأمي وقلنا بشارة عيسى لأنّ النبي ﷺ قال: «أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى عليهم السلام».

(٢) أي: بئس شيء عملوه إذ كذّبوا الرسل وحرّفوا الكتب وأكلوا السحت.

(٣) وإن قيل إنّ التعاون القائم اليوم بين اليهود والنصارى يرد ما في الآية قلنا إنّ اليهود احتالوا على النصارى فضربوهم بالالحاد فلمّا قضي على العقيدة الدينية فيهم أصبحوا سخرة لهم يتحكمون فيهم وبذلك فرضوا عليهم حبّهم وعدم عداوتهم.

٥- وعد الله لأهل الكتاب على ما كانوا عليه لو آمنوا واتقوا لأدخلهم الجنة .

٦- وعده تعالى لأهل الكتاب ببسط الرزق وسعته لو أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم أي لو أنهم أخذوا بما في التوراة والإنجيل من دعوتهم إلى الإيمان بالنبي الأمي والدخول في الإسلام لحصل لهم ذلك كما حصل للمسلمين طيلة ثلاثة قرون وزيادة. وما زال العرض كما هو[1] لكل الأمم والشعوب أيضاً .

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات :

الرسول : ذكر من بني آدم أوحي إليه شرع وأمر بتبليغه وهو هنا محمد ﷺ .

بلغ ما أنزل إليك[2] : من التوحيد والشرائع والأحكام .

يعصمك : يحفظك حفظاً لا يصل إليك معه أحد بسوء .

(١) العرض: هو ما عرضه الله تعالى عليهم وهو في قوله: ﴿ولو أنّهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربّهم لأكلوا . .﴾ الآية .

(٢) روى مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت: من حدّثك أنّ محمداً ﷺ كتم شيئا من الوحي فقد كذب والله تعالى يقول: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته . .﴾ الآية .

فلا تـــأس : لا تأسـف ولا تحـزن.

هـــــادوا : اليهــود.

الصابئــون : جمع صابىء وهم فرقة من أهل الكتاب.

معنى الآيـات :

في الآية الأولى (٦٧) ينادي الرب تبارك وتعالى رسوله معظمًا له بقوله: ﴿يا أيها الرسول﴾ المبجل ليأمره بإبلاغ ما أوحاه إليه من العقائد والشرائع والأحكام فيقول ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾. ويقول له: ﴿وإن لم تفعل﴾ أي إن قصرت في شيء لم تبلغه لاي اعتبار من الاعتبارات ﴿فما بلغت رسالته﴾ أي فكأنك لم تبلغ[1] شيئاً، وقوله تعالى: ﴿والله يعصمك من[2] الناس﴾ أي يمنعك من أن يمسوك بشيء من الأذى، ولذا فلا عذر لك في ترك إبلاغ أي شيء سواء كان مما يتعلق بأهل الكتاب أو بغيرهم ولذا فلم يكتم رسول الله شيئاً مما أمر بإبلاغه البتة. وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ تقرير لوعده تعالى بعصمة رسوله ﷺ إذ هو تعالى لا يوفق الكافرين لما يريدون ويرغبون فيه من أذية رسوله ﷺ، ولما نزلت هذه الآية قال ﷺ «لا تحرسوني فإن الله قد عصمني» هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية (٦٨) وهي قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من[3] ربكم﴾ لقد تقدم هذا السياق وأعيد هنا تقريراً له وتأكيداً وهو إعلام من الله تعالى أن اليهود والنصارى ليسوا على شيء من الدين الحق ولا من ولاية الله تعالى حتى يقيموا ما أمروا به وما نُهوا عنه وما انتدبوا إليه من الخيرات والصالحات مما جاء في التوراة والإنجيل والقرآن أيضاً. وقوله تعالى: ﴿وليزيدنّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾ هذا إخبار من الله تعالى لرسوله ﷺ بأن كثيراً من اليهود والنصارى يزيدهم ما يوحي الله تعالى إلى رسوله وما ينزله عليه في كتابه من أخبار

---

(١) في الآية ردّ على الرافضة القائلين بأنّ النبي ﷺ كتم شيئًا مما أمر بإبلاغه تقية وكذبوا وربِّ الكعبة قالت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لو كان في إمكان الرسول أن يكتم شيئا لكتم: ﴿عبس وتولى﴾ إذ هي عتاب له ﷺ.

(٢) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة فقال: (ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة) قالت: فبينما كذلك سمعنا خشخشة سلاح فقال: من هذا؟ قال: سعد بن أبي وقاص. فقال له: ما جاء بك؟ فقال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم انصرف ونزلت هذه الآية.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء جماعة من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: ألست تقرّ أنّ التوراة حق من عند الله؟ قال: بلى، فقالوا: إنّا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت الآية ﴿لستم على شيء﴾ الخ.

أهل الكتاب مما هو بيان لذنوبهم وضلالهم. ومما هو أمر لهم بالإيمان بالنبي الأمي واتباعه على الدين الحق الذي أرسل به يزيدهم ذلك طغياناً أي علوا وعتواً وكفراً فوق كفرهم. ولذا فلا تأس أي لا تحزن[1] على عدم إيمانهم بك وبما جئت به لأنهم قوم كافرون. أما الآية الثالثة (٦٩) وهي قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين[2] هادوا والصابئون[3] والنصارى﴾ فالذين آمنوا هم المسلمون واليهود والنصارى والصابئون وهم فرقة منهم هم أهل الكتاب فجميع هذه الطوائف من آمن منهم الإيمان الحق بالله وباليوم الآخر وأتى بلازم الإيمان وهو التقوى وهي ترك الشرك والمعاصي أفعالاً وتروكاً فلا خوف عليه في الدنياولافي البرزخ ولا يوم القيامة ولا حزن يلحقه في الحيوات الثلاث وعد الله حقاً ومن أصدق من الله حديثاً!

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب البلاغ على الرسل ونهوض رسولنا محمد ﷺ بهذا الواجب على أكمل وجه وأتمه.

٢- عصمة الرسول المطلقة.

٣- كفر أهل الكتاب إلا من آمن منهم بالنبي محمد ﷺ واتبع ما جاء به من الدين الحق.

٤- أهل العناد والمكابرة لا تزيدهم الأدلة والبراهين إلا عتواً ونفوراً وطغياناً وكفراً.

٥- العبرة بالإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي لا بالانتساب إلى دين من الأديان.

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا

---

(١) في هذا الإرشاد الإلهي تسلية للرسول ﷺ وليس بنهي عن الحزن إذ لا يقدر المرء على دفع الحزن وإنّما يقدر على ترك مثيراته فإنّه متى ترك التعرّض لها لم يوجد في نفسه حزن.

(٢) في ذكر المؤمنين وهم المسلمون مع اليهود والصابئين والنصارى إشارة أبلغ من عبارة وهي أنّ العبرة ليست بالأنساب ولا الانتساب ولا بزمان أو مكان وإنما النجاة من النار ودخول الجنّة متوقفان على الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح الذي جاء به كتاب الله ورسوله محمد ﷺ.

(٣) اختلف في إعراب: ﴿والصابئون﴾ على أقوال نكتفي بقول منها وهو أن تكون مبتدأ وخبرها محذوف تقديره: والصابئون كذلك على حدّ قول الشاعر:

فمن يك أمسى بالمدينـة رحله فاني وقيار بها لغريب

أي كذلك، وتقدير الكلام إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى مَنْ آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك.

لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

الميثاق	: العهد المؤكد باليمين .
بما لا تهوى أنفسهم	: بما لا يحبونه ولا تميل إليه أنفسهم المريضة .
فريقاً كذبوا	: أي كذبوا طائفة من الرسل وقتلوا طائفة أخرى .
أن لاتكون فتنة[1]	: أي أن لا يبتلوا بذنوبهم بالشدائد والمحن .
فعموا وصموا	: عموا عن العبر وصموا عن سماع المواعظ .
من يشرك بالله	: أي يشرك بالله غيره تعالى من سائر الكائنات فيعبده مع الله بأي نوع من أنواع العبادات .
حرم الله عليه الجنة	: حكم بمنعه من دخولها أبداً إلا أن يتوب من الشرك .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن أهل الكتاب فقد أقسم تعالى على أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل وذلك في التوراة بأن يعبدوا الله وحده بما شرع لهم فيطيعوه في أمره ونهيه وأرسل

(١) أن هي المخففة من الثقيلة وحسبانهم ذلك هو الذي جعلهم يواصلون جرائمهم.ولم يرتدعوا عنها.

إليهم رسله[١] تترا كلما جاءهم[٢] رسول بما لا يوافق أهواءهم[٣] كذبوه فيما جاءهم به ودعاهم إليه. أو قتلوه. وحسبوا أن لا يؤاخذوا بذنوبهم فعموا عن الحق وصموا عن سماع المواعظ فابتلاهم ربهم وسلط عليهم من سامهم سوء العذاب، ثم تاب الله عليهم فتابوا واستقام أمرهم وصلحت أحوالهم ثم عموا وصموا مرة أخرى إلا قليلاً منهم فسلط عليهم من سامهم[٤] سوء العذاب أيضاً وها هم أولاء في عمى وصمم والله بصير بما يعملون وسوف ينزل بهم بأساءه إن لم يتوبوا فيؤمنوا بالله ورسوله ويدينوا بالدين الحق الذي هو الإسلام.

هذا ما تضمنته الآيتان الأولى والثانية (٧٠ - ٧١) أما الآية الثالثة (٧٢) وهي قوله تعالى: ﴿لقد كفر[٥] الذين قالوا إن الله هو المسيح[٦] بن مريم﴾ فقد أخبر تعالى مقرراً حكمه بالكفر على من افترى عليه وعلى رسوله فادعى أن الله جل جلاله وعظم سلطانه هو المسيح بن مريم تعالى الله أن يكون عبداً من عباده، وحاشا عيسى عبدالله ورسوله أن يرضى أن يقال له أنت الله. وكيف وهو القائل: ﴿يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ فهل مثل هذا القول يصدر عمن يدعي أنه الله أو ابن الله؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان تاريخ بني إسرائيل، والكشف عن مخبئات جرائمهم من الكفر والقتل.

٢- إكرام الله تعالى لبني إسرائيل ولطفه بهم مع تمردهم عليه ورفض ميثاقه وقتل أنبيائه وتكذيبهم، والمكر بهم.

---

(١) كموسى وهارون ومَن جاء بعدهما وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام.

(٢) كلّما: نصبت على الظرفية وهي لاستغراق الزمان الذي أتت فيه الرسل وأشربت معنى الشرطية فكان العامل فيها بمنزلة الجواب.

(٣) ﴿أهواءهم﴾ جمع هوى وهو المحبوب، وفعله: هَوِي يَهوى كرَضي يَرضَى إذا أحبَّ ومالت نفسه إلى ملابسة شيء.

(٤) إشارة إلى تاريخ بني اسرائيل فقد استقام أمرهم وقامت دولتهم في فلسطين على عهد يوشع بن نون فتى موسى ثمّ دالت دولتهم بجرائمهم على عهد البابليين ثمّ اجتمعت كلمتهم وقامت دولتهم على عهد داود وسليمان ثمّ دالت دولتهم بجرائمهم التي نعاها الله تعالى عليهم في هذه الآية على يد الرومان.

(٥) هذا استئناف ابتدائي لإبطال باطل النصارى بعد إبطال باطل اليهود فالمناسبة جِدُّ قوية لأنهما خصم الإسلام والمسلمين.

(٦) هذا قول اليعقوبية وهم فرقة من النصارى لأنهم قالوا باتحاد الابن والأب فكأن المسيح هو الله في اعتقادهم الباطل الفاسد.

٣- تقرير كفر النصارى بقولهم المسيح هو الله.

٤- تقرير عبودية عيسى عليه السلام لربه تعالى.

٥- تحريم الجنة على من لقي ربه وهو يشرك به سواه.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾

شرح الكلمات:

ثالث ثلاثة [1] : الثلاثة هي الأب والابن وروح القدس: وكلها إله واحد.

خلت من قبله الرسل : مضت قبله رسل كثيرون.

وأمه صديقة : أي مريم كانت صديقة كثيرة الصدق في قولها وعملها.

أنى يؤفكون : أي كيف يصرفون عن الحق وقد ظهر واضحاً.

معنى الآيات:

ما زال السياق في بيان كفر النصارى ففي السياق الأول ورد كفر من قالوا إن الله هو المسيح بن مريم، وفي هذا السياق كفر من قالوا إن الله ثالث ثلاثة إذ قال تعالى في هذه

(١) أي: أحد ثلاثة وهو قول الملكانية والنسطورية واليعقوبية ولا يقولون ثلاثة آلهة ويتمنعون من ذلك وهو لازمهم.

الآية (٧٣) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة يعنون الآب والابن وروح القدس، وبعضهم يقول الأب والابن والأم، والثلاثة إله واحد فأكذبهم تعالى في قيلهم هذا فقال راداً باطلهم، ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ أي وليس الأمر كما يكذبون، وإنما الله إله واحد، وأما جبريل فأحد ملائكته وعيسى عبده ورسوله ومريم أمته فالكل عبد الله وحده الذي لا إله غيره ولارب سواه. ثم قال تعالى متوعداً هؤلاء الكفرة الكذبة: ولئن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم[1]. فأقسم تعالى أنهم إن لم ينتهوا عن قولهم الباطل وهو كفر ليمسنهم عذاب أليم موجع غاية الإيجاع. ثم لكمال رحمته عز وجل دعاهم في الآية الثانية (٧٤) إلى التوبة ليتوب عليهم ويغفر لهم وهو الغفور الرحيم فقال عز وجل: ﴿أفلا يتوبون إلى الله﴾ بترك هذا الكفر والباطل ويستغفرون الله منه والله غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين، وفي الآية الثالثة (٧٥) أخبر تعالى معلمًا رسوله الاحتجاج على باطل النصارى فقال: ﴿ما المسيح بن مريم، إلا رسول﴾[2]، فلم يكن رباً ولا إلهاً وإنما هو رسول مفضل قد خلت من قبله رسل مفضلون كثيرون وأمه مريم لم تكن أيضاً إلهاً كما يزعمون، وإنما هي امرأة من نساء بني إسرائيل صدّيقة[3] كثيرة الصدق في حياتها لا تعرف الكذب ولا الباطل وأنها وولدها عيسى عليهما السلام بشران كسائر البشر يدل على ذلك أنهما يأكلان الطعام[4] احتياجاً إليه لأن بنيتهما لا تقوم إلا عليه فهل آكل الطعام افتقاراً إليه، ثم يفرز فضلاته يصلح أن يكون إلهاً. اللهم لا. وهنا قال لرسوله ﷺ أنظر يا رسولنا كيف نبين لهم الآيات الدالة بوضوح على بطلان كفرهم، ثم انظر كيف يؤفكون[5] عن الحق أي كيف يصرفون عنه وهو واضح بين. وفي الآية الأخيرة (٧٦) أمر رسوله ان يقول لأولئك المأفوكين عن الحق المصروفين عن دلائله لا ينظرون فيها أمره أن يقول لهم موبخاً لهم: ﴿أتعبدون من دون

---

(١) الآية نص في أنّ من يقول بقول النصارى كافر مستوجب للعذاب الأليم.

(٢) فيه قصر موصوف على صفة أي، قصر عيسى على الرسالة لا يتجاوزها إلى الألوهية ولذا فهو قصر قلب لرد اعتقاد النصارى في أنّه الله.

(٣) صدّيقة: كثيرة الصدق في قولها وعملها وفي تصديقها بآيات ربِّها، وفي تصديقها لابنها وقد ناداها ساعة ولادته وفي رضاعه، وهل هي مع الصديقية نبيّه؟ في نداء الملائكة لها ما يرجح نبوتها. والله أعلم.

(٤) إنّ مَنْ يأكل الطعام وولدته امرأة كيف لايكون مخلوقا مربوباً محدثاً كسائر المخلوقين لم يستطع دفع هذا نصراني مهما أوتي من العلم إلاّ أنهم يهربون من مواجهة الحق فيقولون تضليلا لعقولهم وخداعا لنفوسهم: إنه يأكل الطعام بناسوته لا بلاهوته، ومعناه: أنّ الإنسان اختلط بالإله وهذه هي الحلولية الباطلة الفاسدة عقلا وشرعاً وواقعاً.

(٥) يقال: أَفَكَه يأفِكه أفكاً إذا صرفه صرفا وهو من باب ضرب.

الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً﴾ وهو عيسى وأمه، وتتركون عبادة من يملك ذلك، وهو الله السميع العليم.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ إبطال التثليث في عقيدة النصارى وتقرير التوحيد.

٢ـ إبراء عيسى ووالدته عليهما السلام من دعوى الألوهية للناس.

٣ـ فتح باب التوبة في وجه النصارى لو أنهم يتوبون.

٤ـ تقرير بشرية عيسى ومريم عليهما السلام بدليل احتياجهما إلى الطعام لقوام بنيتهما، ومن كان مفتقراً لا تصح ألوهيته عقلاً وشرعاً.

٥ـ ذم كل من يعبد غير الله إذ كل الخلائق مفتقرة لا تملك لنفسها ولا لعابدها ضراً ولا نفعاً، ولا تسمع دعاء من يدعوها، ولا تعلم عن حاله شيئاً، والله وحده السميع لأقوال كل عباده العليم بسائر أحوالهم وأعمالهم، فهو المعبود بحق وما عداه باطل.

قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨١)

شرح الكلمات :

لا تغلوا في دينكم[1] : الغلو: الإفراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه فمثلاً أمرنا بغسل اليدين في الوضوء إلى المرفقين فغسلهما إلى الكتفين غلو أمرنا بتعظيم الرسول ﷺ فدعاؤه غلو في الدين.

أهواء قوم قد ضلوا : جمع هوى، وصاحب الهوى هو الذي يعتقد ويقول ويعمل بما يهواه لا بما قامت به الحجة وأقره الدليل من دين الله تعالى.

وأضلوا كثيراً : أي أضلوا عدداً كثيراً من الناس بأهوائهم وأباطيلهم.

عن سواء السبيل[2] : سواء السبيل: وسط الطريق العدل لا ميل فيه إلى يمين ولا إلى يسار.

لعن : دعى عليهم باللعنة التي هي الإبعاد من الخير والرحمة وموجباتها.

بما عصوا وكانوا يعتدون : أي بسبب عصيانهم لرسلهم، واعتدائهم في دينهم.

لا يتناهون : أي لا ينهي بعضهم بعضاً عن ترك المنكر.

لبئس ما كانوا يعملون[3] : قبح عملهم من عمل وهو تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يتولون الذين كفروا : يوادونهم ويتعاونون معهم دون المؤمنين.

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي : أي لو كانوا صادقين في إيمانهم بالله والنبي محمد ﷺ ما اتخذوا المشركين في مكة والمدينة من المنافقين أولياء

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن أهل الكتاب يهوداً ونصارى فقال تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿قل﴾ يا رسولنا: ﴿يا أهل الكتاب﴾ والمراد بهم هنا النصارى ﴿لا تغلوا في دينكم

---

(١) الغلو: مصدر غلا يغلو غلوًا في الأمر إذا جاوز حدّه المعروف.

(٢) سواء السبيل هنا المراد به: الإسلام، لأنهم ضلّوا في دينهم قبل مجيء الإسلام ثمّ ضلّوا عن الإسلام بعد مجيئه.

(٣) اللام: لام القسم جيء بها لتدلّ عليه وتؤكد الذمّ بصورة فظيعة.

غيرالحق﴾ ، أي لاتتشددوا في غير ما هو حق شرعه الله تعالى لكم ، فتبتدعون البدع وتتغالوا في التمسك بها والدفاع عنها ، التشدد محمود في الحق الذي أمر الله به اعتقاداً وقولاً وعملاً لافي المحدثات الباطلة ،ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وهم اليهود إذ قالوا في عيسى وأمه بأهوائهم فقالوا في عيسى ساحر، وقالوا في أمه بغي وأضلوا كثيراً من الناس بأهوائهم المتولدة عن شهواتهم ، وضلوا أي وهم اليوم ضالون بعيدون عن جادة الحق والعدل في عقائدهم وأعمالهم وأقوالهم . هذا ما تضمنته الآية الأولى (٧٧) أما الآيات بعد فقد أخبر تعالى في الآية الثانية أن بني إسرائيل لعن منهم الذين كفروا على لسان كل من داود في الزبور، وعلى لسان عيسى بن مريم في الإنجيل وعلى لسان محمد ﷺ في القرآن فقال تعالى : ﴿لعن الذين كفروا من[1] بني اسرائيل على لسان داوود﴾ . فقد مسخ منهم طائفة قردة، ﴿وعيسى بن مريم﴾ حيث مسخ منهم نفر خنازير كما لعنوا على لسان محمد ﷺ في غير آية من القرآن الكريم ، وهذا اللعن الذي هو إبعاد من كل خير ورحمة ومن موجبات ذلك في الدنيا والآخرة سببه ما ذكر تعالى بقوله : ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ . أي بسبب عصيانهم لله تعالى ورسله بترك الواجبات وفعل المحرمات ، واعتدائهم في الدين بالغلو والابتداع ، وبقتل الأنبياء والصالحين منهم : وأخبر تعالى في الآية الثالثة بذكر نوع عصيانهم واعتدائهم الذي لعنوا بسببه فقال : ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر[2] فعلوه﴾ . أي كانوا عندما استوجبوا اللعن يفعلون المنكر العظيم ولا ينهى بعضهم بعضاً كما أخبر النبي ﷺ في قوله : «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده» فلما فعلوا ذلك ضرب الله على قلوب بعضهم ببعض ثم قال ﷺ : «لعن الذين كفروا ـ إلى قوله فاسقون» ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه (تعطفنه) على الحق أطراً ولتقسرنه على الحق قسراً أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم»[3] وفي آخر الآية قبح الله تعالى

---

(١) في الآية دليل على جواز لعن الكافر وإن كان من أولاد الأنبياء وأن شرف النسب لا يمنع إطلاق اللعنة في حقه (قرطبي).

(٢) نقل القرطبي عن ابن عطية رحمهما الله تعالى أنّ الاجماع منعقد على أنّ النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه وأمن الضرر على نفسه وعلى غيره من المسلمين فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر صاحب المنكر ولا يخالطه.

(٣) أخرجه أبو داود عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

عملهم فقال: ﴿لبئس ما كانوا يفعلون﴾ ثم قال لرسوله ﷺ: ﴿ترى كثيراً منهم﴾ أي من اليهـود في المدينة يتولون الذين كفروا يعنى من المشركين والمنافقين في مكة والمدينة يصاحبونهم ويوادونهم وينصرونهم وهـم يعـلمـون أنهم كفـار تحرم موالاتهـم في دينهـم وكتابهم، ثم قبح تعالى عملهم فقال: ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ نتيجة ما حملتهم عليه من الشر والكفر والفساد، وهو سخط الله تعالى عليهم وخلودهم في العذاب من موتهم إلى مالا نهاية له فقـال تعالى: ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن[1] سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾ لا يخرجون منه أبداً. ثم زاد تعالى تقرير كفرهم وباطلهم وشرهم وفسادهم فقال: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله﴾ كما يجب الإيمان به وبالنبي محمد وبما جاء به من الهـدى ودين الحق ومـا أنـزل إليه من القرآن والآيات البينات ما اتخذوا الكفار المشركين والمنافقين أولياء، ولكن علة ذلك أنهم فاسقون إلا قليلاً منهم، والفاسق عن أمر الله الخارج عن طاعته لا يقف في الفساد عند حد أبداً، هذا معنى قوله تعالى: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم[2] أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون[3]﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة الغلو والابتداع في الدين، واتباع أهل الأهواء.

٢ـ العصيان والاعتداء ينتجان لصاحبهما الحرمان والخسران.

٣ـ حرمة السكوت عن المنكر ووخامة عاقبته على المجتمع.

٤ـ حرمة موالاة أهل الكفر والشر والفساد

٥ـ موالاة أهل الكفر بالمودة والنصرة دون المؤمنين آية الكفر وعلامته في صاحبه.

---

(١) أنّ: في موضع رفع على الابتداء، والتقدير: لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم هو سخط الله عليهم.

(٢) في الآية دليل واضح على أنّ من اتخذ الكافر وليّاً لا يكون مؤمنا إذ يجرّه ذلك الولاء إلى قول ما يقول وفعل ما يفعل وحتى اعتقاد ما يعتقد وبذلك يكفر مثله وشاهده من الحديث: «من تشبّه بقوم فهو منهم».

(٣) أي: كافرون إذ فسقوا عن دين الله وخرجوا عنه باليهودية الباطلة وخرجوا عن الإسلام بالنفاق فهم كفرة منافقون يهود ملعونون.